الزواج السعيد

بين حُسن الاختيار وعِشرة الأخيار



تأليف
حاتم سلامة

طيبة



بين حُسن الإختيار
الزواج السعيد
وعشرة الأخيار

تأليف

تقديم

ت: ٦٦٩٢٦٣٥ ٠١٠
Email : tibaadv@yahoo.com



اســم الكتــاب	الزواج السعيد
اســم المـؤلف	حاتم سلامة
عـدد الصفحات	٨٠
الطبعـــة	الأولى
التـوزيع والنشر	طيبة للنشر والتوزيع
الإيـداع القانوني	٤١١٧ / ٢٠٠٦

تقديم د / محمود عمارة

في مؤتمر السكان الذي انعقد بالقاهرة عام ٩٥ كان هناك اتجاه ملحوظ لإلغاء معنى الأسرة والأمومة ، الأمر الذي ترتب عليه عكس ما يظنون، فقد أثار هذا الاتجاه حفيظة الغياري من المسلمين مدفوعين بولائهم للإسلام وإحساسهم العميق بفداحة النتائج المترتبة على الاتجاه التغريبي.. وحاول كل من يملك القدرة على صناعة الكلام أن يقول كلمته ردعاً لهذا الاتجاه الظالم .

وأزعم أنني كنت واحداً من هؤلاء الغياري على الأسرة والأمومة فكانت هذه الأفكار التي لا أدعي أنني حسمت بها القضية ، وإنما قصار أملي أن أكون جنديًا في كتيبة المدافعين عن الإسلام استبقاء للأسرة ، وبخاصة الأم والتي هي الوحدة التي يتكون منها البناء الكبير – وكان طبيعياً أن يكون التركيز على عنصر الاختيار ضمانًا لسلامة الأساس ، ثم ما يترتب على حسن الاختيار من سعادة المجتمع ، سعادة تنعكس آثاره على كل الأطراف المعنية ، ولتكون في نفس الوقت شاهد صدق على ما يدبر الأعداء لهذا الدين ، وشاهد صدق أيضاً على يقظة الأمة الإسلامية .. وولدنا الشيخ – حاتم سلامة – من واقع تجربته العملية ، قد وضع النقاط على الحروف فوصل إلى نتائج يحسن الوقوف عليها كما يحسن لكل مسئول عن أسرة أن يطالعها وإنه لواجد فيها إن شاء الله ما تقر به العين، وما يطمئن إليه القلب .

د / محمود محمد عمارة
الأستاذ بجامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ،،،

- فإن قضية البيت المسلم ، من أخطر القضايا التي لها دور فعال ، وأثر كبير في نهضة المجتمع الإسلامي ، وقيام أركانه على الفضيلة ، وتعاليم الدين الراشدة ، بل لا أبالغ حينما أقول : إن البيت المسلم .. نعلق عليه آمالاً كبيرة في صياغة جيل الصحوة الإسلامية ، الجيل الذي يخرج للأمة فيحيي بعثها، ويحمل على كاهله عزها ومجدها ..
- نريد جيلاً ينشأ على القرآن، وتعاليم محمد ﷺ .. فيغير ملامح المجتمع، ويرده للإسلام بعد أن تمرد على تعاليم الحق سبحانه .
- بل إن الواقع الذي نعانيه ، والمرار الذي تعيش فيه بلاد الإسلام .. والمؤامرات التي تحاك بأمتنا ، وتدبرها بليل دول الاستعمار ، وأعداء الإسلام ، كل هذا البلاء ، وكل هذه المحن ، لن يستطيع التصدي لها جيل تجرد من كل معاني الرجولة ، وتحلل من صبغة الإسلام .

لن يستطيع التصدي لها جيل نشأ كما يريد الغرب ، لا كما يريد قائدنا وعظيمنا محمد ﷺ .

إننا نريد جيلاً يحمل راية الإسلام بذراع ، وباليد الأخرى سيفًا يزود به عن حياض الدين .. إنه جيل البطولة إذن ، الذي يتخرج من بيت دعائمه الفضيلة ، وركيزته الإيمان .. جيل نشأ بين أحضان أبوين مسلمين ، يؤمنان ، ويدركان أن حياتهما ليست للمتعة واللذة ، بقدر ما هي حياة تعمل على تأصيل معنى الإسلام في المجتمع ، وإحياء صورة الأسرة المسلمة من خلال التربية الراشدة، والسلوك المتدين ، ومن هذا كله آثرت الحديث عن الزواج ، من حيث الاختيار ، قواعده وأصوله ، لأنه اللبنة الأولى في تكوين البيت المسلم، والعامل الأكبر في تحقيق هدفه كبيت سعيد . ترفرف عليه أجنحة السعادة ، وتشمله ظلال العشرة الطيبة.

حاتم إبراهيم سلامة

تمهيــــد

■ قال بعض الأدباء :

" لا تنظر للمرأة نظرة ظاهرية .. فيعجبك منها ، بريق عينيها ، وجمال ساقيها ، ورقة شفتيها ، ورشاقة ذراعيها ، ونعومة يديها .. نظرة كبر وغطرسة .. وربما يخرج من وراء الشفتين الرقيقتين ، لسان يقذف بالقبح وفظائع الألفاظ . وهذه اليد الناعمة ، صاحبة الذراع الرشيق ، قد تنطلق بالقسوة والقوة ، لتريك ألوانًا من مصارعة الأسود .. والساق المستقيم الذي يذهب بالأبصار ، قد يخطو نحو الفجور والانحراف "

فلا يخدعك من المرأة مظهرها ، وجميل هيئتها
فالحية ناعمة الملمس .. وفي جوفها السم الزعاف

لقد أردت أيها المسلم الصادق ، أن تحفظ دينك ، ويملأ العفاف دنياك.. فانطلقت للزواج كما أمرك إسلامك ، لتحفظ نفسك من شهوة مهلكة، وتحمي دينك من غائلة مردية ..

لو كانت هذه غايتك أيليق بك بعدها أن تسكن لامرأة بذيئة عارية ، تربت في بيت سوء ، وأشربت حظها من الغواية والفجور .

أين لك أن تحقق غايتك .. وقد سرت في غير طريقها ؟!

لقد أبهرك الجمال ، وأخذك المال ، ونسيت سوء الخلال ، ووحشة المال.

ألم تعلم أن عشرتك لمن هذه صفاتها قد يرديك ، ويغويك ، ويمحو من قلبك الرضا . ويقتل فيك القناعة ، وحب الطاعة ؟!

ولله در القائل :

إذا لم يكن للمرأة دين ... أفسدت دين زوجها [1]

وأنت أيتها الفتاة المسلمة لا تسمحي لقلبك أن يجتاحه الضعف .. فتسيطر الدنيا على آمالك ، وينحدر طموحك مغروراً بالطلاء الزائف..

(1) مختصر منهاج القاصدين

ولتسألي نفسك سؤالاً :

هل السعادة في الجمال والمال ؟
أم أنها في صلاح النفس ، وطيب الخصال ؟
إن مستقبلك مرهون باختيارك ، فلتتبصري ولتحذري

- وإلى الشباب والشابات .. أوجه تلك التأملات ليدركا معاً ما في الاختيار الراشد من سلامة الدين والدنيا ، وإلى الزوج وزوجه .. أسوق حديث العشرة الطيبة ، التي أخرجت بيتًا سعيدًا ، ونما تحت ظلالها بنوة راشدة.

- ثم إني لم أشأ أن أجعل هذا الكتاب لقارئه ، مجرد إرشادات أو نصائح، أو خطوات في الحديث عن الاختيار والعشرة . وإنما كان كل عنوان فيه، يحمل ما يدل عليه من الآثار الشرعية ، وتجارب السلف الصالح ، وقصصهم التي حازت السبق في الاختيار الحصيف ، والعشرة السعيدة .

ليستطيع القارئ أن يتعايش معهم ، فيشعر إلى أي مدى بلغت أخلاقهم وفضائلهم إذ ضربوا مثال للعشرة الطيبة ، والبيت السعيد .

وعسى ذلك أن يكون قياساً لكل حائر في اختياره ،
أو شقي في بيته

الفصل الأول

١- مقصود الزواج في الإسلام .

٢- التدين أساس الاختيار .

٣- الاختيار وارث الأخلاق .

٤- الاختيار بين الزيف والحقيقة .

٥- الاختيار .. ومؤنة الحياة .

٦- الاختيار ومسئولية الآباء .

مقصود الزواج في الإسلام

■ إن الإسلام هو أعظم دين يتجاوب مع الفطرة الإسلامية ، فلم يدع يومًا للرهبانية التي تجافي طبيعة البشر ، وفي الوقت نفسه ، لم يدع للإباحية التي تهدم الخلق ، وتخدش المروءة ، وتجعل المجتمع ساقطًا مهزومًا .

ومن هذا التجاوب ..

■ كان الزواج الذي شرعه الحق سبحانه ليوائم ما ركب في الإنسان من غريزة تتطلبها حياته .

وإذا كان الزواج أمرًا ضروريًا في حياة المسلم ، حيث فيه عفته وإحصانه، فإن الإسلام قد نشد من ورائه أهدافًا أخرى غير العفة والاحصان ، ولم يجعله مقصودًا على تلبية الغريزة والإشباع الجنسي..

★ يقول الشيخ الغزالي :

" ليس الزواج علاقة اشتهاء بدني وحسب ، فهذا تصور هابط ، إن هذا الازدواج أساس ارتباط روحي ، وامتزاج مشاعر وراحة أعصاب .. ولقد قرأت محزوناً نبأ ذلك المتدين التعس الذي مزق خصيتيه بالموس لأنه وجد نفسه مهزوماً أمام إلحاح الشهوة ، وهو يحسب أن ذلك النداء يجب كبته أبدًا ، وأن التزوج بالنساء خسة لا تليق بالأطهار !! إن قمع الغريزة لم يعرفها رسل الله الكرام . والذين عذبوا أبدانهم بكبتها لم يحقق لهم الكمال المنشود . حتى لو اقترحنا أنهم هزموا هذه الغريزة سراً وعلنًا . ولم يأذنوا لها قط أن تلتوي بهم هنا وهناك ، مع أن ذلك في جملة الناس عسير التحقيق " [1]

ومن هنا كان مقصود الزواج في أمرين :

١ـ ما يختص بالمسلم .

٢ـ ما يختص بدينه .

(١) ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي

o **فأما ما يخص المسلم** ففيه صيانة لنفسه من مزالق الهوى ، ومعاطف الشهوات ، التي قد تهلكه لو لم يتدارك نفسه بالزواج .

قال ﷺ :

" ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في سبيل الله " رواه الترمذي

وقال الشاعر :

إن الزواج يصون النفس يعصمها ... عما يحط بعلياها ويزريها

o **وأما ما يخص دينه** فهو الغاية الكبرى ، والغرض الأسمى من الزواج حيث أن المسلم من خلاله يستطيع أن ينجب الذرية لتكون جيل النصر المنشود .. جيل مبارك يحمل راية الدين وشريعة الإسلام ، وينشر تعاليم الله في الأرض ، فيظل الإسلام مسلحاً بالرجال المؤمنين الأوفياء .

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

ص ٣٤ ، ٣٥

قال الشيخ محمد أبو شهبة في التفسير الصحيح لتلك الفتنة : والصحيح المتعين في تقسيم الفتنة هو : ما جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

" قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه قل : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل واحدة منهن شيئاً ، إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه، فقال النبي ﷺ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله أجمعين "

ونحن أمام هذا النص العظيم ، نخرج بدرس نافع وعظة بليغة . إن سليمان عليه السلام ، قد يتهمه الجهال ومن لافقه لهم ، بأنه نبي شهواني، يهوى

الجماع وعشرة النساء .. ولو أن هؤلاء نظروا لقول سليمان عليه السلام وتأملوه ، لأدركوا الغاية التي من أجلها كان طوافه .

● لم يكن نبي الله يريد شهوة ، ولم يكن من الذين تتيه عقولهم عشقاً في النساء ، وإنما كان غايته الأولى ، أن تنجب نساؤه فرساناً ، يقاتلون في سبيل الله .. فغايته إذن عبادة الله ، والجهاد في سبيله ..

★ يقول الشيخ محمد الغزالي :

لابد من اختيار زوجة صالحة عند الاتجاه إلى بناء الأسرة ، فإن الزواج ليس قضاء وطر ، وإراحة بدن ثائر ، الأمر أسمى من ذلك . وطالب الزواج عليه أن يرتاد لنفسه ويطلب الأزكى والأنقى ... ونحن عادة نحب الجمال الباهر ! لتكن ثانوية عند البحث ، وليكن الغرض الأول امرأة ذات خلق وتقى ! فإن هذا الغرض إذا ضاع لم يبق ما يحرص عليه .. لفت نظري وأنا أطالع درساً في عالم البحار منظر السمك الملون ، كان إهاب السمكة مليئاً بالنقوش الرائعة والزخارف التي تسبي العيون باتساق الألوان وغرابة الرسوم ... ثم عرفت أن هذا النوع من الأسماك سام كله! فقلت : ياعجباً المنظر حلو والمخبز مؤذ ، ما أكثر هذا بين البشر ..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾

البقرة ٢٠٤

أنصح طالب الزواج ألا تخدعه الظواهر المزوقة ، وليكن همه الباطن الشريف ! تقول : ومن يعرف الغيوب ؟ وأجيب البيوت أمارة مصدوقة، ويغلب أن تكون البنت مثل أبيها أو أمها ، وعلينا أن نستشير وأن نستخير .

★ ورحم الله عمر بن الخطاب حينما قال :

" إني لأجبر نفسي على الجماع لأنجب نسمة تعبد الله "

فحينما ينجب المسلم نسمة يلقنها تعاليم الدين ، ويزرع فيها أدب الإسلام فإنه بذلك يمد الإسلام بسلاح قوي يقاوم الانحراف والرزيلة، ويحارب به الإلحاد والغواية .. ومن هنا كان مقصود الزواج .

●لقد قيل أن الرسول ﷺ تزوج أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة، لا لغرض الزواج ولكن لكي تقوى الرابطة بينه وبين صاحبيه.

●وفي حرب الردة طلب الأشعث بن قيس من أبي بكر أن يعفو عنه بعد أن تاب من ردته ويزوجه أخته ! ففعل أبو بكر رجاء أن يدوخ الله به وبقبيلته كنده فارس والروم ، وقد تحققت نبوءة أبي بكر .. ووفى الأشعث بعهده وكان المحارب المناضل في كل عهود الخلفاء من بعده.

لقد رأى الصديق رضي الله عنه أن في هذا الزواج مصلحة للإسلام ضد أعدائه، وهي الغاية المنشودة ، بغض النظر عن مصلحة المخطوبة الخاصة .

●لقد كان انتصار الإسلام عند أبي بكر هو الغاية الأولى ، والهدف الكبير، ومن هنا أمر ولده عبد الله أن يطلق زوجته عاتكه بنت زيد لأنها شغلته عند الجهاد في سبيل الله إذ شغف بها حباً فلم يجد عبد الله مناصاً من تلبيه أمر أبيه فطلقها ثم أنشد وجداً عليها :

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير ذنب تطلق

إن الصديق رضي الله عنه ، لم يراع شعور ولده ، وقلبه المتيم بزوجته ، وذلك لأن مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وتتقاصر دونها كل المآرب والغايات.

وأخرج الدار قطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقال : " تجهز - **أي للغزو** - فإني باعثك في سرية " ، فذكر الحديث وفيه : فخرج عبد الرحمن بن عوف فلحق بأصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل .. فلما دخلها دعاهم للإسلام ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الثالث أسلم بن عمرو الكلبي رضي الله عنه وكان نصرانياً وكان رأسهم. فكتب عبد الرحمن - **مع رجل من جهينة، يقال له رافع بن مكيث** - إلى

النبي يخبره ، فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوج ابنة الأصبغ، فتزوجها ، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن " (١)

وإذا نظرنا لهذا التوجيه النبوي الكريم ..

لرأينا الحكمة فيه قد بلغت مداها إذ أن هذا الزواج يعمل على تأليف القلوب وتهدئة الضمائر وإزالة أي شعور في نفوس القوم بالهوان ليدخلوا الإسلام حباً لا كرهاً ورغبة لا رهبة وكيف يكرهون ويرهبون وهذا الإسلام صار بينهم وبينه رابطة الدم والنسب التي تفرض العصبية والتقدير ؟!

(١) انظر (حياة الصحابة) للعلامة الكندهلوي

فاظفر بذات الدين :

لا نقصد باختيار المتدينة تلك التي تدين الإسلام وتتسمى بأسماء المسلمين.. وفعالها وخلقها وتربيتها في واد ، وأخلاق الإسلام وتعاليمه في واد آخر .

- إن كثير من نساء اليوم قد غلبت عليهم الجهالة في الدين، وبيوتهن اللاتي تربين فيها بعيدة كل البعد عن تعاليمه ، إنهم يحبون من الفتاة أن تبدي زينتها، وتظهر مفاتنها ، وذلك في نظرهم، طبيعة ومدنية وتطور وارتقاء وظروف عصر يختلف عن سابقه !!

- وقد تثيرك الدهشة ، حينما تسمع فتاة تعلم لأول مرة أن كشف الشعر حرام .. أو أن اختلاطها بالشباب منهي عنه .. بل الأدهى ما قالته أحدى الراقصات في بعض الصحف الشهيرة ..

" لم أكن أعلم أن الرقص حرام"

- وهكذا تبدو الصورة الرهيبة القائمة ، والتي وصلت إليها مجتمعاتنا، من ضعف الوازع الديني .. وفساد الطبائع وانتشار الرزائل .. فإذا قصدت المتدينة .. فهل تكون تلك التي تزعم الإسلام وكل ما فيها بعيد عن الإسلام !؟

- قد تكون طيبة مهذبة ، ولكنها تربت على الاختلاط ، ونشأت على التبرج.

فهل تستطيع إقناعها بالحجاب والعفاف ،
وهجر طباعها التي لا تستطيع العيش بدونها ؟

اعتقد أن ذلك بعيد المنال ..

- لقد عبرت الأحاديث النبوية عن ذلك المقصد ، فهناك أكثر من حديث

يوصي باختيار " المرأة الصالحة " إنه : لم يقل المرأة المسلمة ، وإنما قال : " الصالحة "

فكل صالحة مسلمة ، وليست كل مسلمة صالحة

• فالتدين إذًا هو الصلاح . واختيارك لها من مبدأ الصلاح .

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾

النساء٣٤

وإن لم تكن صالحة ، فهل تضمن أن تحفظ غيبتك ، وتصون عرضك؟ بل هل تضمن أن تكون لك مطيعة مجيبة ، تمتص غضبك .. وتصبر على سخطك وضجرك ؟

• إن امرأة على عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، ذهب زوجها للجهاد ، وغاب عنها كثيرًا ، فتغيم عليها كآبة الوحشة ، وتتأجج فيها نار الغريزة .. فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان ، ووازع المراقبة لله .. وفي جنح الليل سمعها أمير المؤمنين تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه ... وأرقني ألا حبيب ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر ﷺ على بنته حفصة وقال لها :

كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب عنها ؟ ، قالت : أربعة أشهر ، فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم: ألا يحبسوا جنديًا عن أهله . أكثر من أربع أشهر .

إن حديث المرأة ، بقدر ما تفوح منه مرارة الوحشة وآلام الفرقة ، التي قد تستدعيها لاستجلاب الخطيئة .

إلا أن خشية الله والخوف من عواقبه ، قد صارعت كل نوازع الشر فيها، وانتصرت عليها ، ليظل عرض زوجها محفوظاً بدينها وصلاحها وخشيتها لربها مهما بعد سفره ، وطال فراقه .

■إن هذا الموقف ليفرض على كل خاطب مقدم على الزواج سؤالاً مهماً.. وهو: مَن من النساء تستطيع أن تكون كتلك المرأة تحفظ غيبة زوجها وتصون شرفه وعرضه ؟

اعتقد أن المرأة الصالحة وما أرسلته من شعر فصيح فيه الجواب. وليبقى الهم والخسران لكل عازف عن سمة الصلاح في النساء، وليشقى في حياة ملؤها القلق والاضطراب.

وكما قال ﷺ:

"ثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوءك. وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك" رواه الحاكم في المستدرك

■وقال عمر رضي الله عنه:

"ثلاث من الفواقر - الدواهي - جارمقامه إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت بيتك لسنتك - أي نالت بلسانها منك - وإن غبت لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإن أسأت قتلك"

رواه بن قتيبة عن علي بن زيد في عيون الأخبار (٤/٤)

فالصلاح والتدين هما طريق المسلم وهديه في اختيار زوجته.. وإن خالف عنها هذا الهدى، فدون شك لن تخلو حياته من منغصات، ينتج عنها بغضه لزوجته، وكراهيته لبيته.

الاختيار عندنا وعندهم

لقد أجري بحث ميداني في أمريكا في فترة الستينيات من القرن الماضي، بين ٤٢٦ شاباً أمريكياً عن صفات المرأة المثالية فكانت نتائجه كالآتي:

الزوجة المثالية هي التي تتصف بهذه الصفات حسب ترتيبها:

١- **العقلية الناضجة.**

٢- **الصحة الجيدة.**

٣- **المظهر الحسن.**

٤- **النظافة والعناية بالملبس.**

٥-المرح والميل إلى البهجة .
٦-الشخصية المكتملة التي يمكن الاعتماد عليها .
٧-الطهارة الجنسية .
٨-الميل للعمل والنشاط .
٩-الروح الدينية .
١٠-أن تكون محبوبة في أهلها وذويها .

ثم يعلق أحد الباحثين فيقول :

هكذا جاءت الإجابات من الشباب الأمريكي ، والملاحظ هنا أن الطهارة الجنسية والروح الدينية جاءت في آخر الترتيب ، هذه سمة المجتمعات المادية، وما جبلت عليه من هوان الخلق والفضيلة .

ولكن المجتمع المسلم له نظرة أخرى ، فدينه فوق كل اعتبار، وإسلامه هو النواة التي منها يختار

قال ﷺ :

" تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " رواه البخاري وغيره

الفتاة المسلمة والاختيار الرشيد :

في حياتنا يذهب المال والجاه بالعقول ، ويحظى صاحب الثروة في مجتمعنا بالاحترام ، حتى ولو لم يكن أهلاً لهذا الاحترام ..وذلك لأن ماله وثروته ، قد فرضاه على مجتمع يعشق المادة ، ويجعلها مقياس الرجال.

فإذا تقدم رجلين لخطبة فتاة ، أحدهما فقير متدين ، والآخر ثري لكن لا حظ له من التدين والالتزام ، فعلى جناح السرعة ، ينطلق العقل قبل الفؤاد ، ليرجح كفة الثري ، بغض النظر عن تدينه وأخلاقه . أما الرجل الفقير فإنه يعني لفتاة العصر ، شقاء الحياة ، ومرارة العيش .. حتى وإن كان صاحب دين وخلق .

وفي نهاية المطاف تكون النتيجة الخاسرة ، التي تنتاب أصحابها :

خسارة في الدنيا .. وخسارة في الدين .

هذا هو واقعنا الذي نعيشه بكل أسف .. واقع بعيد عن سمت الإسلام، الذي جعل الاختيار في الأخلاق ، التي فيها السعادة والسرور .

إن واحدة من السلف الصالح ، رفضت الدنيا وزينتها والتي تمثلت في ولي العهد يزيد بن معاوية الذي تقدم لخطبتها ، وهذا يعني الثراء والملك والزعامة .. ولكنها بكل جسارة تعلن رفضها له ، لأنها آثرت عليه صاحب الدين ، الحسين بن علي بن أبي طالب سبط الرسول ﷺ ، وسيد شباب أهل الجنة .

هكذا كانت المقاييس عندهن
هكذا كانت معالم الاختيار في عقولهن

- فلتتبصر الفتاة المسلمة .. التي ترجو وتأمل أن يكون الزواج مطية لرضاء ربها وسبيلاً لذرية تنفع دينها .

بنات شعيب

يقص علينا القرآن شهامة موسى عليه السلام . حينما ساعد فتاتين ضعيفتين .. لم يجدا رجلاً على أخلاق موسى يرحم ضعفهما ..

لقد نالت صفاته الحميدة نيل الرضا من قلبيهما، وأعجبتا بمروءته التي عزت في كثير من الرجال . وحينما ذهبتا لأبيهما ..

حدثتاه بمروءة موسى والإعجاب يتملك حديثهما قبل الشعور .. لقد أرسل إليه شعيب ليشكره ، وفي معرض الحديث .. كانت المفاجأة لنبي الله .. لقد عرض شعيب أن يزوجه إحدى ابنتيه ، ولكن هناك أمر عجيب إن القرآن لم يذكر أن شعيبًا عليه السلام قد استشار ابنته ، في أمر الزواج من موسى ولم المشورة وحديثها يعلن عما في أعماق قلبها من الإعجاب والانبهار .. !؟

ولم تكن ابنة شعيب منحلة الأخلاق أو عديمة الحياء ، لقد أثبت القرآن حياءها .

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾

بل كانت ابنة نبي .. تربت على الأخلاق والصلاح ومن هنا كان تقديرها لمن كان على مثل ما جبلت عليه .

■ إن فتاة اليوم يبهرها من الرجل ، جمال هيئته ، ووجاهة مظهره ، وكثرة ماله، ومنعة سلطانه ..

■ أما خلقه وشهامته ، ومروءته ونجدته .. فهي آخر ما تفكر فيه الفتاة الحديثة، لأن هذه الأمور تبدو في نظرها ثانوية لا قيمة لها .. ولعمري.. لهي الأصل الأصيل في عشرة الرجال والعيش معهن .

خديجة الحائرة وأخلاق محمد ﷺ :

وقفت الشريفة الطاهرة ، وقفت حائرة ، من يتولى أمر مالها ؟ من ينمي تجارتها ؟

إن المجتمع يرغب في الزواج منها طمعاً وجشعاً، ورغبة في مالها لا في شخصها..

فلابد إذاً لهذا المال من يد أمينة ، يشوبها العفاف ، وغنى النفس فتترفع عن مزالق الخيانة والغدر .

ولكن .. من يا ترى يمتلك سجايا مثل هذه ؟!

من هو صاحب النفس العظيمة العفيفة ، التي تبحث عنه خديجة ليتولى أمر مالها وتجارتها ؟

لابد أن يكون إنساناً مثالياً.. وهذه المثالية عزيزة نادرة فيمن حولها من الرجال.

لقد ساقت الأقدار محمد ﷺ للعمل في مال خديجة .. فنمت في المال بركة لم تعهدها خديجة ، فرأت أمانته التي تسامعت بها من قبل .

واندفع غلامها ميسرة بما سحره وأسره من سجايا الرسول ﷺ وأخلاقه ليحدثها عن شمائله، وما رأى فيه من الفضيلة والأدب الجم.

ورأت رضي الله عنها أنها أمام فرصة ذهبية .. إن ضيعتها فهي الخائبة الخاسرة.

وكيف لا تنتهز الفرصة وقد وجدت ضالتها التي تبحث عنها هنا وهناك، فواحد فقط بلغت فيه الامانة مبلغها . وواحد فقط تحقق فيه ما كانت ترجوه من الصفات ..

وواحد فقط أطلقت عليه قريش ألقاب الصدق والشرف

- إنه النفس العظيمة، والشخصية الفذة المباركة، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، حفيد سيد قريش، سيد السادات وصاحب الرأي في قومه. ونحن ننظر لاختيار خديجة، وننظر للمقومات التي عولت عليها الاختيار في نظرها.
- لقد كانت قريش تعج بالسادات والأشراف وأصحاب الأنساب، وذوي المال والسلطان .. لكنها بحكمتها، كانت تعلم أن السيادة والنسب، لا يمنعان صاحبهما أن يأتي برزيلة، أو يقترف زوراً وسرقة، فالنسيب المجرد من الأخلاق، إنما هو أبشع بكثير من وضيع لا خلق له.
- وانطلقت بحكمتها لتختار من توافرت لديه عناصر الخلق، ومقومات الرجولة.. لقد اختارت الفضيلة والمروءة في شخصه ﷺ، لكي تطمئن ويرتاح بالها على مالها وتجارتها وتلك حكمة هداها إليها عقلها وفهمها.
- لقد أعجبتها أخلاقه .. تماماً كما أعجبت أخلاق موسى بنتي شعيب. وهكذا دائماً لكل مهمة ولكل عمل .. يجب أن نفضل صاحب الدين والخلق، ليقود بالتقوى ويوصي بالفضيلة.
- فلا المال غاية، ولا السلطان مفخرة ولا النسب تشريف، إنما الفلاح في التقي المتدين .. ولا قيمة لكل تلك المباهج الدنيوية إن جردت من الدين والخلق.

إن الزوج الصالح الذي تنشدينه لحياة سعيدة ، وعشرة طيبة .. هو الزوج المتدين ، بل هو الزوج الذي لا يبخسك حقك ويعاشرك بالمعروف ، ويبذل لك العاطفة والمودة ، فيصون مشاعرك ، ويكرمك ولا يهينك .

هو الزوج السوي الذي يتحلى بالفهم والإدراك ، وسعة الأفق ، يستطيع بهذه الملكات أن يستوعب الأزمات والعوائق التي تعترض طريق الزوجية.

الزوج المتدين يا أختاه هو الأمل لك في هذه الحياة .. هو الذي يعينك على طاعة ربك .. فيرشدك لغايتك ، ويهديك من ضلالك .. هو الذي تتعلمين منه القناعة والخلق ، وتشعرين معه بالسعادة والهناء .

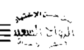
■ إن بعض الفتيات اليوم ييتئسن حينما يتقدم لخطبتهم شاب متدين ، سواء عرف عنه تدينه ، أم كان بحكم وظيفته ، كأن يكون إماماً وخطيباً مثلاً ، وتكون الحجة أنها تخشى أن يكون معقداً ، رجعي التفكير، لاتعرف الضحكات ولا النكات إلى وجهه أو رسمه طريقاً .

■ وبدون شك ، فإن هذا من مساوئ الغزو الثنائي الذي عمد إلى تشويه سمت المتدينين بما يملك من أسلحة قوية ، وهي المعاول التي يهدم بها الأخلاق والفضيلة في مجتمعنا .

■ لقد عمل الإعلام من حين لآخر ، أن يبرز صورة عالم الدين في هيئة رجل مخرف لا يعرف إلا الشرود عن الدنيا ، والولوج في عالم البله والمجانين .

■ وحيناً آخر يبرز الشاب المتدين ، في صورة الإرهابي المجرم ، الذي يكفر المجتمع ويستبيح حرماته .

وما عرف يومًا من الأيام أن الإعلام قدم صورة صحيحة للشاب المتدين الصادق، الذي يفهم دينه فهماً سليماً عميقاً .



■لقد أصبحت أكثر الأسر اليوم تخاف من هذا الشاب المتدين الذي يتقدم لخطبة بناتهن لأن الإعلام الخبيث ومن ورائه حفنة من أهل الشر قد صوروا المتدينين في صورة لا تليق فلهم العذر أن يتوجسوا خيفة من ذلك، حتى من قبل أن يظهر الإعلام .. كانت نفس الفكرة موجودة في مجتمعنا.

■ونشأ ذلك من تأصل العادات الغربية ، والتشبه بالأجانب في سلوكهم وطريقة عيشهم.. حتى أصبح كل شيء يمت للقديم بصلة يعد في نظر الناس من قبيل التدهور والتأخر ، ويصبح شيئاً مرزولاً لا رغبة فيه.

★ **يحكي الأستاذ أحمد أمين في قصة حياته فيقول :**

"كنت شاباً لا بأس بشكله ، ولا بأس بأسرته ، فأنا وبيتي نعد من الأوساط المتوسطة وأنا أحمل شهادة عالية ، ومرتبي نحو ثلاثة عشر جنيهاً وهو مرتب لا يستهان به في ذلك العصر ، كنت أتلمس الزواج في أمثالي من الأوساط، لا أطلب الغنى ولا أطلب الجاه ومع ذلك كله وقفت العمامة حجر عثرة في الطريق ، فكم تقدمت إلى بيوت رضوا عن شبابي ، ورضوا عن شهادتي، ورضوا عن مرتبي، والتدين في نظرهم يوحي بالتزمت ، وقلة التمدن والالتصاق بالرجعية والحرص على المال ونحو ذلك من معادني منفرة ، والفتاة يسرها الشاب المتمدن اللبق المساير للدنيا اللاهي الضاحك ، فكم قيل لي أن ليس عندهم مكان لعمة ، ورضي بي قوم أولاً وأحبوا أن يروني ، فأحببت أن أريهم أني متمدن وذهبت إليهم أحمل كتاباً إنجليزياً وجلست إليهم وجلسوا إلي وتحدثت إليهم حديثاً عصرياً على آخر طراز وحشرت في كلامي بعض كلمات إنجليزية فاستغربوا لذلك ، وفهمت أنهم أعجبوا بي ورضوا عني ، ولكن بلغني أن الفتاة أطلت عليّ من الشباك وأنا خارج فرأت العمامة والجبة والقفطان فرعبت ورفضت رفضاً باتاً أن تتزوجني رغم إلحاح أهلها ، وشاء القدر أن تتزوج هذه الفتاة -فيما بلغني- شاباً أنيقاً كاتباً في وزارة ولكنه سكير معربد أذاقها المرار في حياتها الزوجية ثم طلقها ، ومازال يسوء حالها حتى تزوجت بعامل

في التلغراف، وجاءت إلي وأنا قاض في محكمة الأزبكية تطلب من زوجها النفقة "[1]

ندم وحسرة:

سمعت شيخنا حسن أيوب ، وقد شكت إليه امرأة فساد بيتها وزوجها، وعلتها أنه لا يصلي.. ولا يتقي الله ، وكل جوارحه هاجرة لعبادة الله وابتغاء مرضاته.

فكان جوابه إليها :

" وما الذي دعاك وقد علمت عنه فساد الدين أن ترتبطي به "

★ **ألم يسأل وليها عن خلق ذلك الزوج وسلوكه قبل أن تلتحم به ابنته .**

★ **ألم يستشر في أمره ... ألم يختبره في سلوكه ؟**

إن هذا المصير دوماً عاقبة كل من أصاب عقله الشلل ساعة **الاختيار**، ليفسح المجال لمآرب الدنيا أن تسيطر عليه في **هذه اللحظة المصيرية**.

وأعرف كذلك امـرأة تزوجت رجلاً ، وحين اختياره كان رجلاً كأي رجل، لم يكـن مصبوغـاً بالتدين .. وتلك طبيعة الاختيار في مجتمعاتنا فالمهم ماله ومستواه الاجتماعي ، وهل لديه القدرة على إسعادها أم لا ؟

فما الذي حدث وكيف كانت العاقبة ؟

لقد استبان أمره ، وانكشفت حقيقته .. إنه من أولئك الذين لديهم استعداد لأكل الحرام وقبول الرشوة .

بل كان يأتي بالأجانب لبيته ، ويرغم زوجته إلى الجلوس معهم وانتهت العشرة القصيرة ، بغضبة الفتاة ، التي لم يرق لها الحال ، ولم يعجبها تصرفات الزوج المخزية ، وكانت نهاية مأسوية ، تحملت الفتاة وأولياؤها خسارتها ، لأنهم لم يزنوا اختيارهم بميزان الدين.

(١) حياتي لأحمد أمين.

الاختيار .. وارث الأخلاق

إذا كانت أسمى غايات الزواج ، في عقل المسلم أن ينجب ذرية تعبد الله، وجيلاً يحمل راية الإسلام .

فإن أولى واجباته .. أن يهيئ البيئة والتربة التي تصلح ليخرج منها ما يرجوه.. إنها الزوجة التي تجمع خصال الخير .

وإن على رأس ما يتحراه الخاطب في شريكة حياته ، أن تكون طيبة المنبت ، كريمة البيئة والمنشأ .

لأن إرث الطباع والخصال .. يحمله النسل طبيعة وخلقة

قال الشاعر :

فإن شئت أن تختر لنفسك حرة	عليك ببيت الجود : خذ من خياره
وإياك والبيت الدنيء .. قربما	تعار بطول في الزمان بعاره

ومن هنا نصح ﷺ بانتقاء الكريمة الأصيلة بقوله :

" **تخيروا لنطفكم** " أخرجه الحاكم في المستدرك

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال :

" **جاء أعرابي فقال يا رسول الله : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ؟!**

فقال: هل لك من إبل ؟ قال : نعم . قال : أفيها أورق ؟ قال : نعم .. فأنى كان ذلك ؟

قال : أراه عرق نزعه . قال : فلعل ابنك هذا نزعه العرق !! "

وهذا الحديث وإن كان يظهر الميراث الشكلي .. فإن الأولى منه ميراث الخصال والطبائع .

وهي التي يرثها الإنسان تماماً كما يرث الشكل والمظهر بل ربما أشد . فليتحرى المسلم في ميراث أولاده .. ويتقي الله في نفسه فيرفعها ولا يهنها .

• وكما قال عروة بن الزبير :

" ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ،
ولا وضع نفسه له بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء "

• ولنتأمل قول الشاعر الذي يؤكد تلك الحقيقة فيقول :

وأول خبث الماء خبث ترابه ... وأول خبث القوم خبث المناكم

عيون الأخبار ٤/٢

★ وقال عربي :

" لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها قيل له : كيف ذاك ؟
قال : انظر إلى أبيها وأمها ، فإنها تجر بأحدهما "عيون الأخبار ٤/٣

وما أجمل الشعور السعيد الذي غمر قلب رجل نظر لأبنائه وما هم فيه من طيب الخصال فكان خطابه لهم بزهو وترنم :

وأول إحساني اليكم تخيري ... لما جدة الأعراق باد عفافها

وما جدة الأعراق هي الصالحة ذات الدين ، طيبة المنبت ، كريمة الخصال، وهي الأم التي ربتهم وشربوا من معينها .

وإذا تأملنا القرآن .. تأملاً جيداً ..

لوجدنا أن الله تعالى يلفت أنظارنا بهديه لتلك القضية ، مشيراً إلى ما للبيئة من أثر في تكوين الإنسان ، فإن كان الأبوين طاهرين صالحين.. أخذت الذرية بنصيبها من حال الأبوين وإن كانا قد طبعا على الشر والرزيلة ، خرجت وقد تشربت خبث الطباع ورزيل الصفات ..

قال تعالى :

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (٢٧)
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

مريم ٢٧ ، ٢٨

من هذا المشهد المذهل ، كان عجب القوم !

لقد جاءت مريم بما يحمل على الاتهام بالزنا .. ولو كان الأمر يقتصر على صلاح مريم فقط ، وهو ما أشاروا إليه بقولهم : " يا أخت هارون لكان الأمر هيناً مقبولاً .. فلربما خدعها شقي فنال منها وحملت منه، ولكن مريم قد أضيف لصلاحها ما يمتنع العقل معه أن يصدق ذلك ، وهو ما بدى في حديثهم.. لقد قالوا لها :

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

أي انك يا مريم كريمة الأصل ، طيبة المنبت ، شببت على طهر أبوين ، لم يكن فيهما خساسة طبع، أو رزالة سوء ومن كان كذلك في نظرهم .. كيف تسنى له الإتيان بالسوء ؟

يختال فخراً ويتغنى طرباً . من يخطب فتاة من بيت عريق ذو حسب يحسده عليه الجميع .. ولنتأمل واقع القوم ، كيف يفهمون ؟ وكيف يختارون؟

إن بيوت الحكم والثروة هي بيوت الحسب والنسب في أعين الناس ، بل هي البيوت الرفيعة التي يهواها كل خاطب ..

أما البيوت الوضيعة فهي التي يغشاها الفقر ، وليس لرجالها حظ من الكبرياء الدنيوي .

- وهكذا يخرج الإسلام من القضية ، ليكون بعيداً عن مناط الاختيار . ولكننا نصارح الواهمين بما غفلوا عنه فنقول : إن تلك البيوت التي أعلوها لحظها من الدنيا هي أوهى البيوت وأخبثها إن جردت أصولها من سمت الإسلام.. أما البيوت الوضيعة في نظرهم ، فهي أغنى البيوت وأرفعها ، لو كان الإسلام في حياتها راسخاً .
- فمن الظلم إذن أن نعرض عن المؤمنات المتدينات بحجة فقرهن واتهامهن بالوضاعة ، ونهرول لذات الغني والقبيلة ، وبينها وبين التدين شقاق بعيد .

إن الله تعالى يقول :

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ النساء ٢٥

ويقول تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ البقرة ٢٢١

ويقول أيضاً :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ النور ٣٢

لقد رغب الله تعالى في الأمة شريطة الصلاح والتقوى .. مما يؤكد أن الإسلام والتدين هما أولى سمات التي تجذب الرجل نحو المرأة.

★ يقول د / محمود عمارة معلقاً على الآيات :

" يباح التزوج بالأمة شريطة أن تكون مؤمنة ، على جانب من الخلق يعصمها من الزلل ، واتخاذ الأخدان . وإذا كان زواجها لا تقبله النفوس بسهولة . فإن الآية تذكر الشباب بأن " بعضكم من بعض " فإن الحرية إن فاتت فقد بقى الإيمان عنصراً له أهميته " .(١)

وبهذه الحكمة الباهرة يدعو القرآن إن تعذر الزواج بالحرة ، أن يرتبط المسلم بأمة جارية . صاحبة عفة ودين ، ولا عيب في ذلك ولا هوان . فدينها يرفعها ويعزها . ويفضلها على غيرها من الحسيبات الساقطات .

فالنسب إذن في الإسلام هو التدين وليس في الثروة والعائلات الكبيرة، التي تهوى وتصغر أمام تقصيرها في دينها .

فمن سلك ذلك فقد أساء لنفسه وظلمها .

وما أعظم ما في الحكمة النبوية من بناء المجتمع وإرشاده وتسديده

يقول ﷺ :

" من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة . ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه " رواه ابن حبان

وقال ﷺ :

" من أراد أن يلقى الله طاهراً فليتزوج الحرائر " رواه ابن ماجه

(١) تربية الأولاد في الإسلام د . محمود عمارة .

والمعنى في الحرائر كما قال السندي : والأقرب حمل الحرية على الحرية المعنوية وهي نجابة الصفات ..

أي تكون متحررة من رقة الهوى ، وإسار الشهوة ، بفضل رجحان العقل، وإحسان الخلق .[1]

لقد تزوج علي بن الحسين أم ولد لبعض الأنصار ، فلامه عبد الملك في ذلك فكتب إليه : إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم النقيصة، وأكرم به من اللؤم ، فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده - أي مارية - فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس . عيون الأخبار (٤/٨)

(١) منهج السنة في الزواج د/الأحمدي أبو النور .

الاختيار .. ومؤنة الحياة

من معالم الحياة السعيدة ، أن تتوفر مقوماتها وأول مقوماتها الزوجة الصالحة، صاحبة الدين التي تفهم الزواج بما يحمل من مسئولية وكفاح.

قال بعض العرب :

لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنانة ، ولا منانة ، ولا حنانة ،
ولا تنكحوا حداقة ، ولا براقة ، ولا شداقة .

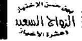
- **أما الأنانة :** فهي التي تكثر الأنين والتشكي ، وتعصب رأسها كل ساعة، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .
- **والمنانة :** هي التي تمن على زوجها فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا .
- **والحنانة :** التي تحن إلى زوج آحر ، أو ولدها من زوج آخر . وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه .
- **والحداقة :** التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها تشتهيه ، وتكلف الزوج شراءه.
- **والبراقة :** تحتمل معنيين ، أنه تكون التي تصقل طول النهار وجهها، وتزينه ليكون لوجهها بريق مجمل بالصنع ، والثاني : أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها .[1]

ولو تأملنا كل تلك الرزايا التي ذكرها العربي ، لوجدناها أبعد ما تكون في امرأة متدينة .

تدرك أن الزواج شركة بينها وبين زوجها

ومن هذا الإدراك .. لا يمكن أبدا أن تراها تئن أو تشتكي أو تمن عليه ، أو تحن لغيره من الرجال أو أن تكلفه مالا يطيق من مؤن الحياة .

(١) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٣٤:٥٤.



إنها تدرك أن الزواج مثابرة ومسئولية . وأفراح وأتراح فهي دائماً عون الزوج.. لتستقيم بهما دفة الحياة .

- أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لقد كانت ترعى زوجها في خلوته وتأملاته ، قبل أن يكون نبياً ، ترعاه ولا تتأفف ولا تضجر منه حتى إذا جاءه الوحي وحدث ما حدث .. فماذا كان موقفها ؟ وماذا كان قولها ؟ هل قالت له : وما الذي أخرجك من بيتك لتبيت في الغار ؟ هل قالت له: اجلس في بيتك ، وارع أولادك وزوجك ولا تذهب إلى هناك مرة ثانية؟ هل أنبته على ترك فراشه وولده وانشغاله بأمور لا شأن لهما بها ؟

كلا والله إن المرأة العظيمة رضي الله عنها وأرضاها .. قالت له قولة تعبر عن عظمتها ومدى تقديرها لزوجها . لقد قالت له :

" إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة "

لقد قالتها وهي تعلم ما يترتب عليها ، لقد قالتها والدنيا يومها ظلام في ظلام، وجاهلية مطبقة ، وسيكون هو ﷺ الشمعة التي تضيء هذا الظلام الدامس وتغير هذا الوجود كله ، وتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، إنها تمنت أن يكون زوجها نبي الأمة . وهي تعلم جيداً ما في تلك الأمنية من تبعات ومشقات، فأي زوجة اليوم تتمنى أن يكون زوجها في موقعه من الدعوة على طريق النبي ﷺ ؟

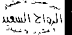
وهو سؤال موجه للأخت المسلمة :

ماذا تتمنين لزوجك ؟ وماذا أنت قائلة له ؟ [1]

إن خديجة رضي الله عنها ، كانت تقدر زوجها ﷺ وتحترمه ، وتعلم أن حديثه هو الحق ، وأن ما عليه هو الصواب فلم تفل يوماً من عزمه ، ولم تفت من مضائه وإنما كانت تشد من أزره وتقف وراءه حامية مساندة لآخر لحظة في حياتها .

---

(١) ... لابتداء ... الفتاح ...



ما أعظمها من امرأة .. يحتاج الإسلام اليوم لمثلها ، ليرتفع لواؤه ، وتعز رايته.

ولو كان في المسلمين اليوم كخديجة رضي الله عنها لصار الحال غير الحال، ولتغيرت شيم الرجال .

- ولنترك أم المؤمنين فهي زوجة النبي ، بل من بشرت ببيت في الجنة، من فوق سبع سماوات .. ولننظر لواحدة من المسلمات ، وهي زوجة عوف بن مالك الأشجعي حيث جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ قال : آمرك وإياها أن تستكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت المرأة : نعم ما أمرك ، فجعلا يكثران منها ، فغفل عنه العدو ، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه فنزلت :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (1)

الطلاق ٢

لقد ذهب مالك لرسول الله ﷺ ، عله يتنبأ له بخبر ولده ، أحي هو أم ميت.. لقد شكا له بعاطفة الأبوة الحانية والتي أخذت بلب النبي ﷺ ورق لها ، فأرشده لما فيه تفريج كربه ، وذهاب همه وحزنه لقد قال له : آمرك وإياها أن تستكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله وذهب لزوجته وهي الجريحة في ولدها .

لقد كانت تنتظر من زوجها أن يأتي ببصيص من الأمل على مستقبل ولدها من عند النبي ﷺ

ولكن المفاجأة المذهلة .. أن جاءها بجملة مباركة أمرت هي وزوجها بالإكثار منها .

والشاهد في القصة ما قالته المرأة حين سمعت مقالة الرسول ﷺ .. لقد قالت لزوجها : " نعم ما أمرك "

(1) انظر أسباب النزول للسيوطي ٢٧٩ وفتح القدير ٥/٢٤٤ ، وحياة الصحابة .

هكذا بكل إيمان وثقة ، بصبر وتحسب ويبلغ اليقين في قلبها مداه من تصديق سيدها محمد ﷺ ، ولم يستطع اليأس بكل ما أوتي من قوة ، أن يتسرب لقلبها فيوهن من إيمانها .

ولو أن امرأة غيرها ، لصرخت وحزنت ، وولولت وبكت ، ولعنت الجهاد والدعوة، بل سبت الإسلام نفسه الذي أضاع ولدها .. لأن الرباط اليوم بديننا أصبح ضعيفا هشيما تداعت أركانه وتصدع بنيانه .

ولله در القائل :

مالي أرى الناس والدنيا مولية ... وكل طي عليها ينبتر
لا يشعرون بما من دينهم نقصوا ... وإن هم نقصت دنياهم شعروا

لكن المرأة الصالحة ، بلغت بإيمانها مبلغ الجبال الرواسي فكانت شامخة في انكسارها ، عظيمة في حزنها .

وفوق ذلك الثبات الرهيب ، نلمح موقفها وهي تشارك زوجها في أعظم محنة في حياتها ، لقد كان الزوج يحمل همها ، حين اشتكى لرسول الله فقال : " إن ابني أسره العدو وجزعت أمه "

فهما حالتين كلاهما مفزع أسره الولد ، وجزع الأم وكأنه يعلن بهذا القول أنه خارج المحنة .. وخارج نطاق الحزن على ولده ، لأنه المؤمن المحتسب وحينما ذهب بقول النبي لها .. نزلت عليها الكلمات نزول السكينة في قلوب المؤمنين .. لتمنحها الثبات والقوة .

وهكذا دائما شأن الزوجة الصالحة ؛

تعين زوجها وتصبر على مشاق الحياة بما فيها من محن وبلاء وفقر وحاجة .

أم سليم والحزن الدفين :

ليس هناك أفجع من الموت .. وخاصة إن أصاب حبيباً أو قريباً .

وقد مر بنا كيف جزعت زوجة الأشجعي على فقد ولدها ، ولكنها غالبت

نوازع الأمومة بالصبر والثبات .. أما زوجة أبي طلحة ﷺ قد حازت قصب السبق في الثبات واليقين .

ولسنا نتحدث عن صبرها بقدر ما نتحدث عن لطفها بزوجها وتسريتها عنه وإشفاقها به .. إن ولد المرأة لو مات لاهتمت واغتمت .. ولظلت فترة طويلة، وعمرًا مديداً ، تزرف الدمع حزناً .. وتخلق جواً من الكآبة والهموم.. يذكر الأب بالمصاب فيصير كارهاً للبيت وما فيه من سحب الأحزان ..

لكن أم سليم لها أمر عجب !

●حكى أنس بن مالك ﷺفقال :

كان ابن أبي طلحة ﷺيشتكي وجعاً ، فخرج أبو طلحة لبعض شأنه فتوفي الصبي ..! فلما رجع أبو طلحة سأل ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي هو أسكن ما كان ..! ففهم أنه بخير ، ثم قربت له العشاء فتعشى . ثم أصاب منها ..! فلما فرغ قالت : يا أبا طلحة : أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم لأناس ثم طلبوها منهم فهل لهم أن يمنعوا ؟ قال: لا . فقالت : فاحتسب أبنك عند الله..! ، قال : فغضب ثم قال : تركتني حتى إذا قضيت حاجتي أخبرتني بابني؟.. فلما أصبح أبو طلحة أتى الرسول ﷺ فقال أعرستم الليلة ؟ قال : نعم ..

فقال ﷺ

" اللهم بارك لهما في ليلتهما "

●إن أم سليم فوق ما كانت عليه من رباطة جأش وثبات شكيمة ، فقد تحلت بالحكمة والحوار الرصين .

وأتت زوجها بحوار عقلي ، ليكون ردئاً لهما في تخفيف الألم الرهيب ، بدلاً من أن يكون الأب في موقفها ، فيهدهد من بلائها ، كانت هي الزوجة المثالية ، التي تحفظ زوجها أن يتسرب لنفسه ما يحزنه ، حتى ولو كان ذلك على حساب عاطفتها الجريحة .

أسماء بنت أبي بكر:

إن ذات النطاقين لها في نفس كل مسلمة تقدير كبير ومثل يحتزي .. لقد كان لها دور كبير في الدعوة وموقف مشرف يوم الهجرة ، ولم لا ؟ وهي بنت الصديق ، لقد ارتبط ذكرها بالإسلام في مهده ، يوم أن أراد الطغيان أن يعصف بصاحب الرسالة ﷺ .

• ونحن لا نتحدث عن ثباتها وإسلامها ، فما نريده ، في هذا المقام أن نبرز دورها في بيت زوجها ، وكيف كانت تصبر على شظف العيش وشقاء الحياة ؟ مؤمنة أن بيتها وما فيه من تعب ونصب ، هو واجبها الذي يجب أن تؤديه ، ومسئوليتها التي أنيطت بها .. لقد صبرت على حلو الحياة ومرها، فلم تكل أو تمل .

تقول رضي الله عنها :

تزوجني الزبير وما له في الأرض مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى الناضجة ، وأعلف وأسقيه الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز ، فكان يخبز جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق.

قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ ...

لكي الله يا بنت الصديق .

لقد صرت في صبرك قدوة لكل مسلمة ، تؤمن برسالتها نحو بيتها وزوجها.. بل كل مسلمة عاقلة تدرك أن وقوفها بجوار زوجها هو من أكبر العوامل التي تزيد الود بينهما وتقيم بيتاً مسلماً سعيداً .

هكذا كانت النساء في صدر الإسلام ،

خير معوان للرجال على نوائب الدهر ومشاق الحياة .

بل هن ممن قال فيهن الشاعر :

وزوجة المرء عون يستعين بهـــا ... على الحياة ونور في دياجيهـــا
مسلاة فكرته إن بـــات فـي كـــدر ... مـدت لـــه لتواسيه أياديهـــا
في الحزن فرحته . تحنو فتجعلـه ... ينـســى بـذلـك الام يعـانـيهـــا
كم زوجة ذات عقل غير مسرفـــة ... تـدبر الدار تـدبيـراً يـنـجيـهـــا
تعامل الزوج في أحوال عشرتـــه ... وفي اليسار . بما في النفس يشفيها
والزوج يداب في تحصيل عيشته ... أبـاً .. ويجهد منـه النفس يشقيهـا
أن عاد للبيت يلقى ثغر زوجتـه ... يفتر عنا يسـر النفس .. يحييهـا
هذه القرينة .. هذا ما تحس لها ... نفس الأبـــي .. ولكن أين تلقيهـا

■ وإذا ما تخطينا سورة النساء الأولى ، لنرى إلى أي هوة سحيقة سقطت فيها نساء أوروبا . واحتطب في حبلهن كثيرات من نساء المسلمين !!

نرى سلوكاً وصوراً لا يمكن أبداً أن ينشأ عليها بيت سعيد .. أو يحيا في ظلها عيش هادئ مستقر .. وهي صورة نرى فيها اختلافاً كبيراً وبوناً شاسعاً عن صورة النساء الصالحات من نساء السلف الصالح رضي الله عنهن أجمعين.

■ تقول السيدة الليدي هارليك وهي زوجة سفير انجلترا في أمريكا وهي كاتبة متخصصة في المرأة : حقيقة أن أسهل شيء عند المرأة هذه الأيام هي أن تعلن استقلالها وأنها تتساوى مع الرجل في العمل ، أما بالنسبة لمنزلها وعائلتها فهما يحتلان المرتبة الثالثة أو الرابعة ، وقد أزعجني جداً وأحرجني في نفس الوقت أن أجد بعض النساء يتفاخرن بأنهن لا يجدن الطهي أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل ..

■ وتضيف قائلة:

إن المأساة بالنسبة للمرأة أن تتخلى عن واجباتها الحيوية كامرأة .. أن تتحلى عن إقامة بيت طيب سعيد ، أن تتخلى عن الطهي والحياكة وإنجاب أولاد ظرفاء.. أن تتخلى عن كل مسئولياتها تجاه الأسرة مقابل أن تعيش

كما تشاء.. إن المرأة التي تفضل حياة اللهو والاستهتار واللا مسئولية والمديح والثناء والجري وراء الموضة، والتفاخر والجهل بأبسط المسئوليات المنزلية تنقص من قدرها وتجعل من نفسها ضحية لتيار اللامسئولية..[1]

ولعمري كيف تستطيع امرأة بهذا السفه أن تقيم بيتاً وتربي أبناءً وتخلق جواً من السعادة والود ينعم به زوجها وشريك عمرها.

● إن مما ينسب لمعاذ بن جبل قوله: إنكم قد ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السراء وهي النساء، إذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يطيق.

● وروى الأصمعي قال: أخبرنا الشيخ من بني العنبر قال: كان يقال النساء ثلاث:

فهينة لينة، عفيفة مسلمة،
تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها..[2]

لابد للمرأة أن ترفق بزوجها وتعاونه ولا تطلب منه ما هو فوق طاقته وما لا قدره له عليه.

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئاً — تبسمت ودنت مني تمازحني
وإن رأته خالياً من دراهمه — تكرهت وانثنت عني تقابحني

لابد لها أن تتحلى بالقناعة، فترضى بما قدر الله لها، وإلا فلن تكون العاقبة مرضية وحياتها حتماً لن تكون مستقرة، وربما تبوء بالفشل.

● عن أبي سعيد ﷺ قال:
أن نبي الله ﷺ خطب خطبة فأطالها. وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ - أو قال من الصيغة - ما تكلف امرأة الغني

أخرجه ابن خزيمة في التوحيد وانظر السلسلة الصحيحة (٥٩١)

(١) الزوجة المثالية في عيون الرجل د/رمضان حافظ.
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة.

الزوجة المؤمنة .. عون على طاعة الله

حث النبي ﷺ على الزوجة المؤمنة .. لأنها تعين على طاعة الله سبحانه.

قال ﷺ:

" ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة "

رواه أحمد والترمذي عن ثوبان

وفي رواية :

" وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك "

• وعن ثوبان رضي الله عنه قال :

لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره . فقال بعض أصحابه : أنزلت في الذهب والفضة لو علمنا أي مال خير فنتخذه ؟ فقال ﷺ:

" أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه "

هكذا كان توجيه رسول الله

زوجة صالحة ..

تحفظك من الفتن ،

وتمنحك العفاف ، وتعينك على التقوى..

وتقف بجوارك في دعوتك ..

كما فعلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع زوجها الرسول ﷺ.

ورحم الله امرأة كانت توصي زوجها عند خروجه بقولها :

إياك وكسب الحرام ،

فإنا نصبر على الجوع والضر ، ولا نصبر على النار...

■ ولقد هم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ، ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت : زوجي منذ عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ، ولي رب رزاق ، يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

ولله در القائل :

لو كانت النساء كمثل هذه — لفضلت النساء على الرجال

■ هذه هي المثل التي عليها قوام البيت المسلم .. الذي يتصل كل أفراده بالله بفضل المرأة الصالحة التي أعانت زوجها .. وربت أطفالها على معرفة الحق سبحانه وتعالى .

وعجباً ..

لمن يخطب فتاة ، أو يرضى أن يتصل بامرأة .. ليست من التدين في شيء ولا نصيب لها من الخلق والفضيلة ..

كيف تقيم بيته ؟!

وكيف تعينه على طاعة ربه ؟!
وعلى أي خصال تربي أبناءه ؟!

قال ﷺ :

" لا تزوجوا النساء لحسنهم ، فعسى حسنهن أن يرديهن ،
ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ،
ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل " رواه ابن ماجة

وقال ﷺ :

" ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ، خيراً له من زوجة صالحة،
إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ،
وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله " رواه ابن ماجة والحاكم

وقال ﷺ :

" من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ،
فليتق الله في الشطر الثاني " أخرجه الحاكم في المستدرك

من هذه الطلائع النبوية المباركة ، والتي ترشد للخير والصلاح .. لا ينبغي للمسلم أبداً أن يحيد عنها ، ففي الحيد عنها ضلال ومهلكة واتباع للهوى .

• قال ابن عباس رضي الله عنهما :

" **شر إله عبد في الأرض الهوى** "

ولعمري أي خير جناه أولائك الذين بنوا حياتهم على البسمات والنظرات، والغزل المشتعل بنار تطفئ بقطرات .

فتكون العاقبة السيئة

أما إذا صار التدين مناط الاختيار ، وعليه قاعدة الارتباط بين الزوجين.

فإنه لرباط قويم لا تنفصم عراه ، ولا تنحل قواه

الاختيار .. ومسئولية الآباء

إننا نريد بهذه الكلمات أن نرشد الشباب للسعادة الحقيقية ، حينما يجمع رافدين من روافد الصلاح تحت سقف واحد .

ولكننا في ظل هذا التوجيه ، لا نغفل دور الأب والذي بما لديه من حكمة وخبرة بالحياة ودروبها ، يستطيع أن يميز بين الغث والثمين ، والصالح والطالح ، ليرشد ابنته أو ولده لما فيه الخير .

لقد تحدثنا فيما سبق عن بنتي شعيب عليه السلام وإعجابهما بموسى عليه السلام ، ولكننا لم نغفل أبداً دور الأب الراشد الحصيف ، الذي أبصر الصواب فاتبعه .

إن رسول الله ﷺ ، قد حمل إنذاره لكل والد يضع ابنته بين أحضان الفساق ، الذين لا حظ لهم من التدين والصلاح .

فقال ﷺ :

" من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها " رواه بن رحبان

وقطيعة الرحم هنا ، لأن الأبناء الذين يولدون سوف ينشأون فسقة على سجية لأبيهم ، ومن هنا قطع رحمها .

ولله در القائل :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وقال ﷺ أيضا :

" النكاح رق ، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته " رواه أبو عمر التوقاني موقوفاً على عائشة وأسماء قال البيهقي وروى ذلك مرفوعاً ، والموقوف أصح

فإذا زف الرجل ابنته إلى رجل مبتور الصلة بخالقه ، فإنه يلقي بها إلى مخلب شيطان رجيم ، وزفافها إلى القبر أكرم وأسلم عقبى[1]

---

(1) الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المسلم المعاصر ، د/عبد العظيم المطعني .

يقول ﷺ :

" إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ..
والا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " الترمذي وابن ماجة

- وجاء رجل إلى الحسن فقال :

" قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال الحسن : ممن يتقي الله ،
فإن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها " [1]

- وقال الإمام الغزالي :

" ويجب على الولي أيضاً أن يرعى خصال الزوج
ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خَلقه أو خُلقه ،
أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها ، أو كان لا يكافئها في نسبها "

ولا زلت أذكر موقفاً لرجل من الصالحين [2]

كانت لديه فتاة ، تقدم لخطبتها شاب .. وحدث بين الرجل وبين ذلك الشاب لقاء ، ليصدر الحكم بعد تلك الجلسة بالموافقة أو الرد الجميل لقد كان للرجل أدواته في الحكم . وهي أدوات تنطلق من الدين واحترام تعاليمه .. وبينما هما جالسان إذا بالمغرب يؤذن ولم ينطق الشاب بما يبرهن على علاقته بربه .. إنه لم يستأذن والد الفتاة ، لكي يؤدي فريضة الله، وأيقن الرجل الصالح ساعتها، أن من لا يصون الفرض لا يصون العرض. فاستأذنه لحظات . دخل فيها يؤدي صلاة المغرب لينطلق بعدها للضيف بقراره الذي أضمره في نفسه .

إنه لم ينظر لحال الرجل من مال وغنى ، أو من وسامة وجسامة ، فتلك أمور لا يهتم بها إلا الفارغون التافهون وإنما كان همه الأول ، أن يتأكد من دين الرجل، لأن هذا هو الذي سيحفظ ابنته . بل هو الذي يوفر لها السعادة في عيشها وبيتها ..

(١) الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المسلم المعاصر . د/عبد العظيم المطعني .
(٢) وهو الداعية المجاهد د/محمد فاضل رحمه الله . من الرعيل لجماعة الاخوان المسلمين ومن تلامذة الامام الشهيد حسن البنا .

• ومن هؤلاء واحد من المريرين تزوج بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه.[1]

• وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال، فلما قرب زفافها أصابها الجدري، فاشتد حزن أهلها لذلك، خوفاً من أن يستقبحها، فأراهم الرجل أنه قد أصابه الرمد، ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنها الحزن، فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك، فقيل له في ذلك فقال تعمدت لأجل أهلها حتى لا يحزنوا، فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق.[2]

حقاً سبق أترابه بهذا الخلق ..

فمن من الشباب اليوم يعلم أن بمخطوبته سوء أو مسها أذى فيبقى على مودتها؟!

إنهم لنادرون، بل عساهم معدومون

وفي ضوء هذه الأخلاق المبهرة، لا يسعنا إلا أن ننصح ولي الأمر، ووالد الفتاة.. بأن سعادة ابنته لن تتحقق إلا باختيار رشيد لشاب أشرب التدين والصلاح، وجبل على تحمل المسئولية، والقيام بواجبه، وخطأ من يظن أن مباهج الدنيا، ومظاهر المتعة فيها من مال وجاه، تستطيع أن تجلب السعادة أو أن تحقق الغاية من عيش سعيد.

قال ﷺ:

"إن أحساب أهل الدنيا يذهبون إليه: المال"

أخرجه الحاكم في المستدرك

لقد نعى ﷺ هذا التقويم الخاطئ وأن يكون معياراً للاختيار، ثم بين حقيقة المسلم والسمات التي تؤهله للصدارة والاختيار.

(١) إحياء علوم الدين.
(٢) المرجع السابق.

قال :

" كرم المؤمن دينه . ومروءته عقله . وحسبه خلقه "
أخرجه الحاكم في المستدرك

وقال ﷺ أيضاً :

" الحسب المال والكرم التقوى " أخرجه الحاكم في المستدرك

وكما هو معلوم من كتاب الله سبحانه ، أن التقوى هي المقياس الذي يبني عليه الرجال .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

• وعن علي ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال له :

" يا علي .. ثلاث لا تؤخرها . الصلاة إذا آنت . والجنازة إذا حضرت . والأيم إذا وجدت لها كفئا " أخرجه الترمذي في كتاب النكاح

وأول الكفأة التي يراعيها الوالد أن يكون من أهل الدين والطاعة .

وقد كان سلفنا الصالح ، يراعون أول ما يراعون في الخاطب تدينه وصلاحه، لأن بناتهن مسئولية وأمانة في أعناقهم ، ومن أدائها وتحملها أن تكون شريكة لرجل يعرف الله تعالى .

جاء في كتاب " مفيد العلوم "

كان المحدث المعروف " سفيان بن عيينة " جالساً .. فجاء إليه ابن أخيه يخطب ابنته . فقال له عمه : كفء كريم .. اجلس ، فلما جلس سأله سفيان أن يقرأ عشر آيات من كتاب الله ، فقال : لا أستطيع ، فسأله أن يروي عشرة أحاديث شريفة ، فقال : لا أستطيع ، فقال له : إذن .. أنشد عشر أبيات من الشعر ، فقال : لا أستطيع ، فقال له عمه :

علام أضع ابنتي عندك ؟!

ومع ذلك لا أخيبنك .. وأمر له بأربعة آلاف درهم ، ثم اعتذر عن مصاهرته .

إنه يحاول أن يكشف عن مكنون نفسه ليعلم اهتماماتها واتجاهاتها بغض النظر عن وضع الخاطب المالي .. وبصرف النظر أيضاً عن كونه ابن أخيه .. فالمال والقرابة .. لا يشكلان عصباً حساساً في علاقة الزواج.. والمهم هو المعدن الأصيل .. والنفس المشغولة بمعاني الأمور متمثلة في حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة .[1]

لم يكن همه أو غايته ، ولم يسأل ابن أخيه كم تملك من الأطيان والأموال؟.. وإنما كان السؤال الأول والمباح، كم تحفظ من كتاب الله وسنة نبيهﷺ ؟

لأنهما الأصل والأصيل في صياغة الرجال

إنه الدين إذاً .. جوهر الكفاءة ، والعامل الأعظم والأكبر لأسرة ناجحة، وذرية فالحة .

ولماذا زوج الرسول الكريم" **زينب** " القرشية من مولاه زيد بن حارثة.. ولماذا أيضاً تزوج بلال الحبشي من أخت عبد الرحمن بن عوف ؟

إنه الدين ، الأساس المتين والعماد الصلبة للبيت المسلم والزوجة السعيدة في عقيدة السلف رضي الله عنهم أجمعين .

فمجتمع الإسلام إذاً .. مجتمع تسقط فيه كل عناصر العنصرية ، وكل أسباب العصبية إنه مجتمع تذوب فيه الفوارق ويسقط فيه الكبرياء فالكل منصاع لقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين أبيض أو أسود منتهي المساواة وغاية الإخاء.

- جاء سعد السلمي إلى النبيﷺ وقال :

يا رسول الله أيمنعني سوادي ومدامة وجهي من دخول الجنة ؟ قالﷺ : لا والذي نفس محمد بيده ما أيقنت بربك وآمنت بما جاء به رسوله .

---

[1] ملامح البيت المسلم د/محمود عمارة .

قال: فو الذي أكرمك بالنبوة ولقد شهدت بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . لقد خطت إلى عامة من بحضرتك فردوني لسوادي ودمامة وجهي ، فقال ﷺ : أتعرف بيت عمرو بن وهب . قال : نعم ، قال: فأذهب إليه وأخطب منه يد ابنته .

وكان لعمرو فتاة رائعة الجمال يتنافس عليها شباب العرب وسراتهم فعجب عمرو بن وهب لغرابة الأمرُ ، ولكنه لطاعة أمر الرسول ذهب إلى البيت، ثم تردد في قبول طلبه وقال له : دعني أتروى في أمري ، وتركه سعد وذهب إلى الرسول ، ولكن الفتاة التي سمعت طرفاً من الحديث سألت والدها ماذا كان يريد الرجل ؟ فلما أخبرها قالت : ويحك يا أبي أو لك أمر تتروّاه بعد رسول الله ؟ الحق بالرجل وإلا أنزل الله فينا من فوق سبع سموات آيات يفضحنا فيها .

وخرج عمرو يهرول ليدرك الرجل فلقيه عند رسول الله وقال له: قبلنا طلبك. انفرجت أسارير سعد السلمي ! ثم قال الرسول : أعينوا أخاكم على قضاء زواجه فجعلوا له أربعمائة درهم فأخذها في صرة ، وبينما هو منطلق إلى السوق سمع المنادي ينادي يا خيل الله اركبي .. وإلى الله ارغبي ! .. فنسي سعد زواجه ودنياه . ومال إلى سوق السلاح فاشترى بكل ما معه فرساً وسيفاً ورمحاً ولثاماً وضعه على وجهه وانطلق مع الجيش الغازي ، فلم ير مثله مقاتلاً في هذا اليوم حتى تعجب منه الصحابة!!

وبعد المعركة وقع من الفريقين أسرى وجرحى، وبينما رسول الله ﷺ يتفقدهم رأى الرجل صاحب اللثام شهيداً ورفع اللثام عن وجهه فإذا به سعد السلمي وبكى الرسول شوقاً إليه حين رأى أزواجه من الحور العين يتبادرن له ثم قال الرسول ﷺ لصحبه :

" اذهبوا إلى بيت وهب وقولوا لوهب ،

إن الله تعالى أبدله فتاة خيراً من فتاتكم حور العين في جنات النعيم .. ! "

هكذا زالت الفوارق وانهدمت الحجب التي وضعتها الجاهلية.. لأمر الرسول ﷺ إنها تخشى أن ينزل القرآن بفضحهم بآياته، وهذا دليل على

قمة الإيمان واليقين وتغليب طاعتة ﷺ على طاعه الهوى ونزعات النفس.

هذا هو مجتمع الإسلام .وهذه هي نفوس المسلمين

• فلننظر للغرب الذي ادعى زورًا حمل لواء الحرية والمساواة .. لننظر

كيف يعامل بعضه بعضا ؟

وكيف تهان فيه آدمية الإنسان وكرامته ؟

• روت بعض الصحف من أن شاباً وسيماً يعيش في ولاية أمريكية وأمريكا كما تسمعون دائماً هي حامية الحريات – قد أحب فتاة أجنبية فتزوجها تحت سمع الكنيسة وبصرها ، ولكن قانون الولاية المتمدنة المتحررة يمنع الزنجي من التزوج بفتاة بيضاء ، وهناك من أدعى أن هذا الشاب من سلالة الزنوج، ولذلك يستحق العقاب الصارم ، وفعلاً قبض على الزوج المسكين فإذا بهم أمام رجل أبيض اللون . ولكن المنافس له زعم أن في دمه من دماء الزنوج ما يساوي نسبة ثمانية في المائة . وهذه هي النسبة التي تجعل القانون يحرم زواجه من تلك الأمريكية البيضاء. وأحال القاضي ذلك المتهم إلى علماء التناسل الأحرار وبعد بحوث وتجارب قرروا أن في دم الزوج ما يزيد فعلاً عن نسبة ثمانية في المائة من دماء الزنوج السود .

وقد انحدرت إليه هذه النسبة من أحد أجداده السود القدماء ، فأصدر القاضي حكمه بسجن الزوج خمس سنوات ، لا لذنب جناه ، إلا أنه خلق من سلالة قوم سمر الألوان وجرؤ على أن يتزوج من فتاة بيضاء تحبه وتهواه وما كادت الزوجة تسمع الحكم حتى خاطبت زوجها قائلة : إن خمس سنوات ليست بالمدة الطويلة أيها الزوج العزيز ، وسأنتظرك وفية مخلصة حتى تخرج من السجن سالماً .. وسنسافر إلى مكان آخر لا يفرق بين البيض والسود !!

أرأيتم..

السفاهة في التفكير ،

والضلال في الرأي ، والتعصب للون ،
والافتخار الكاذب بالجنس والدم ؟!

وممن ؟!

يدعون أنهم أرباب الأخوة الإنسانية
والمساواة العالمية والحرية البشرية ..

فأين هذا

الضلال والتناقض من سمو الإسلام وتكريمه
لبني الإنسان وتسويته الحقة بين الناس أجمعين ؟ ..

أين هذا

من الإسلام الذي أعلن للناس أنهم
متساويين في الخلقة من دماء وطين .

وأنهم صنعوا بيد خالق واحد أرادهم متحابين متعارفين ، لا متعصبين متاكرين..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

أين هذه

التفرقة الغاشية والتعالي الكاذب من روح الإسلام السمحة
التي لا تعتبر الزواج من أسباب الكفاءة والجدارة
إلا الدين والخلق والعمل الصالح . فيجوز للعبد الأسود المملوك أن يتزوج الحرة النسيبة مادام عفيفاً مسلماً .[1]

(1) نافذة على الإسلام للعلامة د/أحمد الشرباصي

هل تكره الفتاة على النكاح ؟

- روى أبو داود وأحمد :

" أن جارية بكراً جاءت إلى النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ ، أي إن شاءت أبقت على الزواج ، وإن شاءت فسخته"

- وروى أحمد والنسائي بإسنادهما :

أن فتاة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل رسول الله ﷺ الأمر إليها .. فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء..

تعني أنه ليس لهم إكراههن على الزواج بمن لا يرضيهن

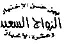
ونحن أمام هذا النص نشعر بمدى الحرية التامة المطلقة التي منحها الإسلام للمرأة .

- بل لم تفز المرأة الحديثة في أرقى المجتمعات حضارة بهذا الحق إلا في عصور متأخرة من الناحية النظرية ، بينما كانت تتمتع به المرأة المسلمة نظراً وعملاً منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة على ما تنبئ به الأحاديث المتواترة .[1]

- إن البنت لا تكره على اختيار من يختاره الوالد ، لأن لها ميولها ورغباتها، التي يجب أن تحترم وتعتبر .

- ولابد للولي من حوار هادئ مع ابنته ، يشرح لها سبب اختياره ، ويذكر لها الميزات التي يتمتع بها من تقدم لخطبتها ، ولا يأمرها أو يسوقها لاختياره ومراده ، كما يساق الحيوان وبهذا الحوار يكون الإقناع ، ويكون التوافق والقبول فإن أبت فلا إكراه ولا إجبار .

(١) الإسلام محور المرأة .. أحمد حسين .



• ذكر التاريخ أن هند بنت عتبة قالت لأبيها : يا أبت إنك زوجتني من هذا الرجل أي الفاكه بن المغيرة المخزومي الذي سبها في شرفها ، ولكن برأها الكاهن الذي احتكم إليه أبوها وزوجها فيها ، فقال : إنها ليست زانية وستلد ولداً أسمه معاوية وتم طلاقها منه ولم تؤمراني في نفسي فعرض لي معه عرض، فلا تزوجني من أحد حتى تعرض على أمره وتبين لي رخصا له ، فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها يقول :

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما	رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يعاض بفضله	وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ	وما منهما إلا أعز سميدع
فدونك فاختاري فأنت بصيرة	ولا تخدعي إن المخادع يُخدع

قالت : يا أبت والله ما أصنع بهذا شيئاً ولكن فسر لي أمرهما وبين لي خصالهما حتى أختار لنفسي أشدهما لي موافقة ، فبدأ أبوها يذكر سهيل بن عمرو . وما عرف عنه من خلال ، ثم ثنى بأبي سفيان وذكر أيضاً ما فيه من صفات .. ثم ترك الاختيار لها .

• لقد حددت هند في نصيحتها لوالدها ، دوره كولي إذ لا يليق أن يخبرها على من يريد فله رأيه ولها رأيها وليس حتماً أن يتفق الرأيان أو يتحدا .. فكل عقل له ميوله وله توجهاته . وأدرك والدها ذلك ، فقام بدوره كرجل في مجتمع يعرف شخصية الرجال وما يتميز به طبائعهم ، ليعرضها على ابنته كناصح أمين، يترك لها القرار والاختيار .

تخيروا لفتياتكم

■ أراد عبد الملك بن مروان أن يخطب ابنة سعيد بن المسيب لولي عهده **(الوليد)** .. وهو زواج سياسي رآه عبد الملك ..

فيوم يجعله سعيد إمام التابعين ونسب ومصاهرة ، يستطيع أن يكسب محبة القلوب ، ويتخذ منه دعامة تجذب نحوه الأنصار والأتباع ، ولكن

ابن المسيب يحتقر رغائب الدنيا ولم يكن أبداً من هؤلاء الذين تستهويهم شهواتها فكيف إذاً كان رده ؟

لم يكن ابن المسيب من هؤلاء الذين تحركهم مطامع الدنيا أو تؤثر فيهم بهارجها ، بل كان من أشد التابعين زهداً فيها وبعداً عن حظيرتها .. أيكون هذا حاله ، وتأتيه الدنيا زاحفة ، وولي العهد يطلب يد ابنته للزواج ..

ها هي ابنته، يعرض عليه أن تكون أعظم سيدة في المملكة الإسلامية أيرفض هذا الثراء وهذا الجاه العريض ؟ إن هذا لا يعقل أبدا أنه الرجل الذي يحذر ..

ولكن ذلك كائن لو كان رجلاً غير سعيد يحذر الملوك والقرب منهم، فيجلجل صوته عالياً منددأ بمن يغشى الملوك من العلماء .

" **إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص** " [١]

أيكون بعد ذلك أول من يفعل هذا ويأتي اليوم الذي يخالف قوله فعله، ليكون أقرب العلماء للامراء والخلفاء .. إن هذا لا يكون أبداً فإذا به يرد رسل الخليفة بالرفض والإعراض ، ويسرع من جانب آخر ليزوج ابنته من طالب علم فقير يسمى (**عبد الله بن وداعة**) يعرضها هو عليه ولم يتقدم لها .

وهكذا يؤثر صاحب الدين
على صاحب الدنيا ..

يؤثر صاحب الدين والخلق على صاحب الحسب والنسب والملك والجاه.. وحينما سأله أحد الناس مستفهماً مستنكراً .. أترد خطبة أمير المؤمنين وتزوج بنتك من رجل من دهماء المسلمين فيقول في ثقة المؤمن :

" **إن ابنتي في عنقي وقد تحريت فيها صنعته لها صلاح أمرها** " [٢]

---

(١) مختصر [illegible]
(٢) [illegible]

"فليت شعري من سمع قبل ذلك بأب يرفض مصاهرة رفعة الإسلام من حضيض البشرية الطامعة إلى سماء المثالية الرائعة . ذلكم هو سعيد !"[1]

ودائماً وأبداً يصير ابن المسيب بهذا الموقف الهمام ، والعقل المقدام نبراساً يضئ للآباء طريقهم، ويدفعهم بقوة أن يظفروا بالمتدينين ويجعلوهم من حظ بناتهم .

ويرد على من مقياسهم الدنيا، ليفشل برهانهم وما تمسكوا به من ظاهرها الهش.. فكم من ملوك أفسد ملكهم نفوسهم ونفوس أبناءهم وكم من أثرياء أفسد الثراء أخلاقهم وأخلاق أولادهم .

ويبقى الدين حافظاً للنفس والأخلاق
مهما تبدل الحال من فقر وغنى،
من سيادة أو عبادة

ولو كان سعيد - - رجلاً كرجال .. لهلل وجلجل وانتفخ وافتقر ، وتعالى وتبتر.. إنه لأمير المؤمنين صهر ، وليت الخلافة متتسب .. ولأسرع بكريمته لأعتاب البيت الأموي بيت الملك والسلطان يقذفها هبة رخيصة عساه ينال بها الرضا، ولكنه سعيد بن المسيب سيد التابعين وإمامهم، ما كان لمثله أن يفعل ذلك .

هكذا كان سعيد ..

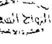
كان سعيد من العقلاء أصحاب الدين أورثه تدينه وخلقه فهمًا سليمًا ورأيًا رشيداً لقد كان لا يفرق بين سيد ، وعبد ، وملك ومملوك إلا بالتقوى والعمل الصالح ، منطلقاً من حكم الله :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

ومن هذا المبدأ كان موقفه من بيت الخلافة وأصحابه .

---

(١) شعاع في رحلة الطريق د. محمد رجب البيومي



رفض الحسيب النسيب ، وآثر رجلاً فقيراً ليس إلا لأنه يعرف عنه تقواه ودينه ، لقد جاءه رجل أسود ذات يوم والحزن يعتصر فؤاده وكمداً لسواد وجهه .

فبماذا أجابه الفاهم الفاقه ، لقد قال له :

لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السود : بلال بن رباح . ومهج مولى عمر بن الخطاب . ولقمان الحكيم الذي آثاره الله الحكمة .

إنها لكلمات يحفها الرشاد والنصح إنه يأخذ بيد التعيس البائس الذي يفهم الحياة فهماً خاطئاً ليبصره بالحقيقة ، ليعلم أن الرجال في ذواتهم لا أشكالهم. ليعلم أن النفس العالية لتسمو بصاحبها للدرجات العلى ، حتى ولو كان أسود الوجه ، وضيع النسب والحسب وانظر إليه ﷺ وهو يؤصل هذا الأصل الأصيل في نفوس المسلمين معلماً إياهم أن الطاعة وتقوى الله يرفعان من قدر الإنسان ليفوق أصحاب الأنساب والأحساب وقف عليه رجل ذات يوم وهو يعظ الناس، فقال له : ألست الذي كنت ترعى الغنم في بني الحسحاس ... ! قال : بلى ، قال : فما الذي قدرك وصيرك إلى ما أنت فيه ؟! ، قال : غض بصري ، وكفى لساني وعفة طعامي ، والصدق في حديثي ، والوفاء بعهدي ، وتكرمتي ضيفي، وحفظ جاري ، وتركي ما لا يعنيني ..

- إنها لفضائل كريمة ، استطاع سعيد بها ، أن يكون شخصية فذة ، لا ينكرها التاريخ ، ولا تنساها الأيام ، شخصية ذات مواقف وملاحم .

تعلم الشجاعة والمضاء ، تعلم أن يقول كلمة الحق ، غير هياب لسلطان أو جبروت طاغية .

لقد كان راعياً فصار بالتقوى والعلم والخلق سيداً من سادات المسلمين، يهرول العظماء إليه بالقرب والمصاهرة .

ولكن أني لهم .. وهو الأب الراشد الذي لا يصاهر إلا الأتقياء .



١-النبي في بيته .

٢-الوفاء بين الزوجين .

٣-الصبر على الزوجة .

٤-حقوق بين الطرفين .

٥-حق القوامة .. لمن ؟ ولم ؟

٦-الزوجة الصالحة وتربية الأبناء .

كان النبي ﷺ في بيته مثالاً للزوج الرقيق الحنون .. يعامل زوجاته بعطف وشفقة .. يهش لهن ويبش ، يداعبهن أحياناً ويلاعبهن أحياناً أخرى .. يراعي فيهن ضعفهن .. وميلهن للكلمة الحانية واللفظ الرقيق ولم يكن بالفظ الغليظ ، أو بالجامد العبوس .

فسيرته ﷺ .. خلاف من يعتقد أن مجرد الضحك مع الزوجة ، أو ملاطفتها، رق في الدين .. أو شرخاً في المروءة ..

قال ﷺ :

" أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا

وخياركم خياركم لنسائكم "

ولقد كان عليه الصلاة والسلام خير الرجال لنسائه ولنذكر هنا طرفاً من الأحاديث النبوية التي تبين لنا كيف كان الرسول ﷺ يعامل زوجاته باللين واللطف، والتفاهم والحوار ، والأخذ برأيهن ، واحترام رغباتهن.

إنه ﷺ يعطي المثل الأعلى للزوج المثالي ، الذي يعاشر بالمعروف ، ويعامل بالود والتراحم .

خدمته أهله:

- عن إبراهيم عن الأسود قال :

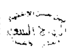
سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله. فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة " رواه البخاري

- وعن عروة عن أبيه :

قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟

قالت : يخيط ثوبه . ويخصف نعله . ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم "

أخرجه أحمد وصححه ابن حبان



• وفي رواية أخرى لابن حبان وأحمد عن عائشة بلفظ :

" ما كان إلا بشراً من البشر . كان يفلي ثوبه . ويحلب شاته . ويخدم نفسه "

إظهار المحبة والاحتفاء بالزوجة :

وفي هذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

" كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ . فيضع فاه على موضع في . فيشرب . وأتعرق العرق وأنا حائض . ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في "

والعرق: هو العظم عليه بقية من لحم ، أتعرق: أي أخذ عنه اللحم بأسناني، وتقول : فيأخذ النبي ﷺ ويضع فاه على موضع في .

في هذا إشعار للزوجة بمحبتها ومودتها والاحتفاء بها وعدم النفور منها أو إظهار الزوج أنه يستقذرها أو يعاف منها شيئاً رآه .

وما أجملها من عشرة ومودة .

• تقول السيدة عائشة ﷺ :

" كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض يقرأ القرآن " رواه البخاري

الإحساس بالزوجة ومراعاة مشاعرها :

• عن عائشة ﷺ قالت :

" قال لي رسول الله ﷺ : إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت على غضبى ، قالت : فقلت من أين تعرف ذلك ؟ . فقال : أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد ، وإذا كنت علي غضبى قلت لا ورب إبراهيم ، قالت : قلت أجل والله يا رسول الله . ما أهجر إلا اسمك " رواه البخاري

• قال الحافظ ابن حجر رحمة الله :

" يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل وعدمه " (1)

---

(1) فتح الباري لابن حجر .

أن يسمع لمشورتها ويحترم رأيها :

وذلك لأن المرأة كالرجل .. لها تكاليفها ومسئولياتها المنوبة بها من الله سبحانه وتعالى ، بل لها عقلاً والذي قد تفوق به كثيراً من الرجال في التصرفات والأفعال .

ومن هذا كان الرسول ﷺ ، يحترم زوجاته ويستمع لرأيهن ويأخذ بمشورتهن .

• ففي يوم الحديبية ، كان استماعه لمشورة أم سلمة سبباً لنجاة المسلمين يومها من إثم المخالفة لأمره ﷺ .

ففي بعض الروايات :

" فجلى الله عنهم يومئذ بأم سلمة وذلك حين امتنع الصحابة رضي الله عنهم من أن ينحروا هديهم ، فأشارت عليه أم سلمة أن يخرج ،

ولا يكلم أحداً منهم كلمة حتى ينحر بدنه ، ويحلق ففعل ﷺ ،

فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا "

رواه البخاري

أن يلاعبها ويراعي ميلها للهو والمرح :

وفي هذا نجد النبي ﷺ قد سابق السيدة عائشة فسبقته !..

(أي في الجري وحدها في سفر)

ثم خرجت معه سفر آخر بعد أن زاد وزنها فقال لأصحابه تقدموا ، ثم قال لعائشة :

" تعالي أسابقك . فسابقها تلك المرة . فقال لها : هذه بتلك ، وضرب بيده على كتفها " رواه الترمذي

وهذا اللعب كما قلنا ليس مما يوهن في المروءة أو يخدش الدين .. بل هذا من هديه ﷺ ..

ومن العشرة الطيبة للزوجة التي أمر المسلم أن يحسن إليها .. ولعمري أهناك إحسان أكثر من أن يشارك الزوج زوجته في مرحها ولعبها ؟

بل لقد حث رسول الله على ذلك إذ يقول :

" **كل شيء ليس من ذكر فهو لعب ولهو الا اربع : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشي الرجل بين الغرضين . وتعلم الرجل السباحة** " رواه البخاري

■ وكذلك حديثه لسيدنا جابر بن عبد الله :

" **فهلا بكرا تضاحكك وتضاحكها ، وتلاعبك وتلاعبها** "

ثم تعود أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتؤكد أنه ﷺ يحب أن يدخل السرور عليها ولم ينكر عليها مرحها وما يعجبها من اللعب المباح .

تقول رضي الله عنها :

" **كنت ألعب بالبنات فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن فيقول : كما أنت وكما أنتن" (أي ليستمروا في اللعب دون خوف منه)** رواه أبو داود

■ وعنها أيضاً قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهوتها - **بيت صغير** - ستر فهبت ريح فكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال :

" **ما هذا يا عائشة قالت : بناتي ورأى بينهم فرساً له جناحات من رقاع فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن قالت : فرس . قال : ما هذا الذي عليه ، قالت : جناحان. قال : فرس له جناحان ؟ . قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة . قالت: فضحك حتى رأيت نواجزه** "رواه أبو داود

وحينما أرادت أن تتطلع للحبشة وهم يلعبون .. لم يحرمها أو يزجرها وإنما سترها بردائه وهي تنظر .

تقول رضي الله عنها :

" **رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر على الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم . ما قدروا قدر الجارية الحديثة السعه الحريصة على اللهو** "رواه البخاري

مراعتها في مرضها والحنو عليها:

لقد مرضت رقية بنت النبي .. وزوجة عثمان بن عفان ، وصادف هذا المرض خروجه وأصحابه لغزوة بدر .. فتغيب عثمان .. وقال له النبي :

اقم معها [illegible] ممن شهد بدر

وأقام عثمان لأنه لا يستطيع أن يقعد في أول ملحمة بين الكفر والإيمان.

هذه بعض الملامح من سلوكه ﷺ في معاشرته لأهله

والتي نستطيع أن نلمح منها : كيف كان سمته ، في معاملة النساء وإكرامهن. وحسن عشرتهن .

من صور الوفاء للزوجة وإكرامها أن يراعي الزوج شعورها ، ويحفظ كرامتها، ولا يؤجج في قلبها نيران الغيرة والغضب من الحديث عن امرأة أخرى ، واسترساله في وصف جمالها أو خصالها . وقد يكون الزوج متزوجاً بغيرها .. فعليه هنا أن يبتعد عن ذلك أكثر ما يستطيع ، ولا يعير زوجته بذكر سمات ضرتها .. وأن يتحرى العدل بينهما ، بقدر الإمكان وقد كان ﷺ قمة العدل بين زوجاته .

- إذ كان في مرض موته أمر أن يطاف به كل ليلة محمولاً على فراش المرض ليبيت عند صاحبة الدور في المبيت .
- ومن مآثر معاذ بن جبل رضي الله عنه : أنه كانت له زوجتان: فإذا كان عند أحدهما طبق قيمة العدل تطبيقاً صارمًا .. إلى أحد أنه إذا كانت نوبة إحداهما .. لم يشرب عند الأخرى ولم يصل بل أنهما لما ماتا معاً لم تذهب الفاجعة بلبه وبقى شرعته ومنهاجه، إلى حد لم يقدم إحدهما في القبر على الأخرى ولم يصل .. إلا بعد أن أقرع بينهما.

فالوفاء للزوجة ..

يكون بالعدل والإنصاف والمعاشرة الطيبة ، والحفاظ على كرامتها وشعورها وإحساسها . وفي وفاء الزوجة لزوجها لا تغيب تلك المعاني بل هي ثابتة فيه بأصولها .. غير أن وفائها أبلغ وأشد من وفاء الرجل .. لأنها مطالبه أن تحفظ عرضه ، وتراعي غيرته ، فلا تفتح بابها لغريب ، ولا تحدث الرجال، ولا تأذن في شيء حتى ترى أمره ورأيه..

تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها :

" تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولا شيء غير ناضح، وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه ، واستقي الماء ، وأفرز غربه دلوه - وأعجن. ولم أكن أحسن الخبز - **وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن**

نسوة صدق. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير - التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي. وهي مني على ثلثي فرسخ.. فجئت يوماً والنوى على رأسي. فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار. فدعاني. ثم قال: إخ إخ ليحملني خلفه. فاستحييت أن أسير مع الرجال. وذكرت الزبير وغيرته -**وكان أغير الناس**- فعرف الرسول ﷺ أني قد استحييت فمضى. فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله وذكرت ما حدث فقال:

والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه.

قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك

بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما اعتقني"

رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن سعد

• وحدث أيضاً أن ذهب جار الزبير إلى زوجته أسماء بنت عميس قائلاً لها:

دعيني أبع في ظل دارك فقالت: انتظر حتى يحضر الزبير.. وأعرض عليه قضيتك فلما حضر الزوج.. وعرض البائع مسألته.. قالت: كأنما ليس في الحي ظل إلا ظل داري ! فقال لها الزبير: مالك والرجل.. ثم أذن له !

إن مجرد الجلوس في ظل الدار.. لن ينقص الظل من أطوافه.. ولكنها تعرف غيرة زوجها فحافظت على هذا الشعور.. ولم تفعل ما يغضبه ويكدره، فهذا من صور الوفاء.

الوفاء وإسلام عكرمة:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، ثم قالت أم حكيم: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمنه، فقال رسول الله ﷺ: "هو آمن"، فخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت على حي من

عكّ ، فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً ، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة ، فركب البحر ، فجعل نوتيّ السفينة تقول له: يخلص قال : أشيء أقول ..؟ قال : لا إله إلا الله ، قال عكرمة : ما هربت إلا من هذا ، فجاءت أم حكيم على هذا الأمر فجعلت تلح إليه وتقول : يا ابن عم ، جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته ، فقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ، قال : أنت فعلت ؟ قالت: نعم ، أنا كلمته فآمنك فرجع معها ، وقالت ما لقيت من غلامك الرومي؟! وخبرته خبره . فقتله عكرمة وهو يومئذ لم يسلم " .[1]

ما أروع وفاءها لزوجها وما أشد حرصها على هدايته ، إن إسلامها لم يدفعها لتتبرأ منه وإنما قامت بدور الداعية فمدت يد العون لمن كانت بينها وبينه عشرة ومودة ، لتجذبه نحو الحق وتهديه إلى الرشاد.

لقد دفعها الوفاء لتتحمل المصائب والمشاق ، وتبذل العناء والجهد ، لتبلغه مأمنه ، وتزيل رعبه وروعه ، وتكفيه مؤنه الغربة والضياع.

وهذا ما نتأمل في موقفها :

أولاً: لقد تحملت في سبيل غايتها عناء رحلة شاقة وسفر بعيد عسير عبر دروب الرمال والصحراء ، وهي الرحلة التي لا يقوى عليها إلا الرجال الأشداء.

ثانياً: أنها مكرت بالعبد الآبق الماكر ، الذي راودها عن نفسها ، فأخذت تمنيه وتساومه وتصانعه لتأمن غدره وشره وهو أمر صعب على المرأة الوحيدة الضعيفة حتى أوقعت به وسلمت من فجوره .

ثالثاً: عرضت على زوجها الدعوة بأسلوب حكيم حيث ذكرته أولاً بسلوك النبي ﷺ وصفاته وأخلاقه التي يعلمها ولا ينكرها ليكون أدعى

(1) انظر حياة الصحابة .

لتصديقها بأنه قد أمنه فقالت :

" جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس "

فاطمأن قلبه لأمان الرسول فمثله ﷺ لا يغدر أبداً .

رابعاً : جاء في خبر آخر أنه جعل يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه وتقول:

" إنك كافر وأنا مسلمة " ليكون ذلك دافعاً لإسلامه شاعراً بوحشة الكفر التي حالت بينه وبين زوجته .

لم يكن الوفاء مقتصراً عندنا نحن المسلمون في حالة الحياة فقط .. وإنما كان الوفاء خلقاً وشعوراً وذكرى لا يمكن أن تنسى ، يعبر عنها المسلم وتفصح عنها المسلمة حتى بعد موت أحدهما . لقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في الوفاء للزوجة ، حتى بعد موتها ..

ومن ذلك أنه كان يثني على أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، ويفضلها على غيرها ، ويبالغ في تعظيمها ، بحيث أن عائشة رضي الله عنها تقول:

" **ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ما** كان رسول الله ﷺ يذكرها "

رواه البخاري

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

" **جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله : من أنت ؟ قالت : أنا جثامة المزنية . كيف أنتم كيف حالكم . كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير . بأبي أنت وأمي يا رسول الله** . فلما خرجت . **قلت** : يا رسول الله **تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان** " أخرجه الحاكم

- وتقول في حديث آخر :

" **وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول : إنها كانت وكانت. وكان لي منها ولد** " رواه البخاري

وغير هذه الأحاديث ، تبين وفاءه ﷺ آزرته ونصرته ، ووقفت بجواره ، وآمنت وصدقته .

ومن الزوجات أيضاً من كانت وفية لزوجها حتى بعد موته

كأسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب ، ثم لأبي بكر من بعده ثم خلفها علي رضي الله عنهم، فتفاخر مرة ولدها محمد بن

جعفر ومحمد بن أبي بكر، كل يقول: أنا أكرم منك ، وأبي خير من أبيك، فقال لها علي : اقضي بينهما يا أسماء . فقالت : ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر. فقال علي: ما تركت لنا شيئاً ، ولو قلت غير هذا لمقتك. فقالت أسماء : إن ثلاثاً أنت أقلهم لخيار .

قال الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبي (الإصابه) (٧/٤٩١)

• وقال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم: فقلت : أخرساء هي؟ فقيل لي : لا ، ولكن كان زوجها معجباً بنعمتها ، فلما توفى أطبقت فلا تتكلم بعده أبداً

• وانظر لفاطمة بنت عبد الملك زوجة الخليفة العادل عمر عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين .. فقد كانت نعم الزوجة وفاءً وإخلاصاً .

فمما يروى .. أن عمر حينما ولى الخلافة أمر أن يوضع ما يملكه هو وزوجته في بيت المال.. وكان مما تمتلكه فاطمة قلادة ثمينة قد آهديت إليها في زواجها .. فرأت أن تتنازل عنها عن طيب خاطر ، وتضعها في بيت المال ! ولما توفى عمر رضي الله عنه أعادوا إليها القلادة عساها تجعلها في بعض حاجاتها منها إلا أن رفضت وقالت :

" ما كان لي أن أطيع زوجي حياً ، وأعصيه ميتاً "

لقد مضت متعة الدنيا وفاء لعمر فهو الزوج الذي زرع فيها الزهد والقناعة وعلمها العزوف عن الدنيا وهجر المفاتن والمظاهر .

• وامرأة أخرى لم يستطع شبح الموت ، وصورته القائمة ، أن يثني من حبها لزوجها ووفائها لذكراه إنها " **عمرة بنت النعمان بن بشير** "زوجة المختار بن أبي عبيد الله الثقفي ذلك البطل الذي ثأر لبني هاشم من قتلة الحسين فأباد جيش الشام الذي أرسله الأمويون له ، وقتل عبيد الله بن زياد من أمر بقتل الحسين وقتل شهر بن حوشب أول من اعتدى على الحسين ، كما قتل عمر بن سعيد بن أبي وقاص ، قائد الجيش

الذي قتل الحسين، إنه البطل الذي أسس أول دولة للشيعة وشفى غليل أهل البيت من قتلة ابن بنت رسول الله ، هذا الرجل لم يلبث عاماً وبضع عام زعيماً على هذه الدولة ، حتى حدثت المناوشات بينه وبين ابن الزبير فسير ابن الزبير جيشه إليه بقيادة أخيه مصعب ابن الزبير فاستولى مصعب على العراق وقتل المختار وأزال الدولة في مهدها .

- ومن الأخطاء التي تنسب لمصعب في هذه الملحمة ، أنه بعد هزيمة المختار استدعى زوجته أم ثابت بنت سمرة فسألها ماذا تقول في زوجها، فقالت : نقول فيه بقولك أنت ، فأطلق سراحها ، ثم دعا بعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - زوجته الأخرى - فسألها ، فقالت : رحمه الله ، كان عبداً لله صالحاً ، فأرسلها إلى السجن ، ثم كتب إلى أخيه يقول : إنها تزعم أن زوجها نبي ، فكتب إليه بقتلها فقتلت ، وفي ذلك قال الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

إن من أعجب العجائب عندي	قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم	إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا	وعلى المحصنات جر الذيول

لقد صار الوفاء للزوج في نفس المرأة عقيدة ويقيناً لا تتزعزع عنها ، ولا تقبل المداهنة وشهدت بشهادة الحق في الإفصاح عن حقيقة الرجل قبل أن يكون زوجاً لها .

إنه عبد صالح ولو أنها قالت غير ذلك لكانت من أهل الزور ، فما أعظمها من زوجة تحترم الحق ، وما أجمل وفاءها لزوجها المقتول .

الصبر على الزوجة



ما أروع الحسن البصري في نصحه ، حينما سأله ذلك الرجل ، الذي تقدم لأبنته جماعة لكي يزوجها .. لقد قال له الحسن :

" زوجها ممن يتقي الله . فأن أحبها أكرمها وان كرهها لم يظلمها "

- إن بيت الزوجية تحدث فيه مناوشات ، واختلافات في الرغبات وقد تتسع الأمور ، لتصل إلى طريق وخيم العواقب . بيد أن الزوج المؤمن.. كفيل بصلاحه أن يئد نواة النفور والفتور ، بل لديه القدرة الكبيرة ، في استيعاب غضب الزوجة وامتصاص ثورتها .. لتهدأ الحياة ، ويسير بينهما شريان المودة من جديد .

- لقد كان الأعرابي يعاتب زوجته .. فبلغ الأمر أن رفعت صوتها عليه فاستاء لذلك ، وخرج غاضباً ، يتوعدها بالشكاية لعمر بن الخطاب أمير المؤمنين.. وانطلق الرجل وهو يكظم غيظه لباب عمر ، ينتظر خروجه فإذا به يسمع العجب العجاب . لقد سمع زوجة عمر تحتد عليه قائلة: اتق الله يا عمر فيما ولاك الله.. ! وهو ما لم يكن يتوقع سماعه.. بل أدهشه أكثر ما أدهشه صمت عمر ﷺ . فحدث الرجل نفسه بالانصراف قائلاً في ضميره إذا كان حال عمر هذا النحو ، فكيف حالي وكيف يقدر موقفي ؟!! ، وعند خروج عمر وجد الرجل واقفاً فسأله : ما حاجتك يا أخا العرب ؟ قال الأعرابي : قد قضيت حاجتي، لقد سكت على مصيبى لما سمعت امرأتك تتجرأ عليك..! لقد جئتك شاكياً زوجتي فرأيت عندك ما يزهدني في الحديث إليك . وهممت بالرجوع وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله !

وكان موقف عمر كالآتي :

إنه لم يخجل لأن الرجل سمع زوجة أمير المؤمنين تحتد عليه وهذا مالا يليق وكذلك لم ينفعل، ولم يغلي الدم في عروقه، من حديث الرجل

فينطلق ليعاقب زوجته بالسب أو الضرب .. لأن واحداً من الرعية سمع منها مالا ينبغي أن يسمعه المحكومين.. فتسقط هيبة حاكمهم في أعينهم .. وكذلك لم يشعر بالنقيصة في نفسه أو النيل من شخصه ، حينما أخبره الرجل بمقالة زوجته .

لقد كان عمر صاحب نفس عالية . وصاحب عقل رشيد.. لقد قال للرجل ما يؤكد تقديره لبيت الزوجية ، واحترامه لشخص الزوجة التي تقوم بواجبها الكبير من خدمة وتربية. لقد قال له :

يا أخا الإسلام... إننا نتحمل نساءنا لحقوق كثيرة : إنهم مربيات أولادنا، وصانعات طعامنا ، والقائمات على خدمتنا، من أجل هذا ينبغي يا أخي أن نصبر عليهن .. فإنهن خلقن من ضلع أعوج .. وإن أنت ذهبت تقيم هذا الضلع كسرته ، فاستمتعوا بهن على عوج واستوصوا بالنساء خيراً!

فلعمري من غير صاحب الدين ، يتحمل عوج المرأة ؟!

ومن غير الصالحين. يتحلون بالصبر على حدة النساء ؟!

ومن غير الراشدين من يقدر تعب المرأة ونصبها في بيتها وتربية أولادها ؟!

■ بل إنه ليس من حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها فقط ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم على طيشها وغضبها ، واقتداء برسول الله ﷺ ، ففي الصحيحين من حديث عمر ﷺ أن أزواج النبي ﷺ كن يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل .[1]

■ وتزوج بعضهم امرأة سيئة الخلق ، فكان يصبر عليها فقيل له : لم لا تطلقها ؟ فبأي جواب أجاب الرجل العظيم ، الذي يتحمل الأذى من زوجة سيئة ؟ لقد قال : أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها .

قال أبو حامد الغزالي :

" إن تزوج المريد ، فهكذا ينبغي أن يكون " [2]

(١) مختصر مناهج القاصدين .
(٢) إحياء علوم الدين .

■ فلابد من الصبر ، ولابد من الرفق ، ولابد من التغاضي عن كثير من الهفوات لكي تستمر الحياة ، وينعم الطرفان بهناء العيش .. وليس الحب وحده هو ما يبنى عليه الزواج .. فهناك المودة والتراحم والتعاون ، وهذه روابط لا تغفل ، بل هي الأسس التي ترد النفس عن هواها إن كرهت المرأة أو نفرت منها .

يقول الله تعالى :

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

النساء ١٩

ويقول ﷺ :

" لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر "

رواه مسلم عن أبي هريرة

والفرك في الحديث :

البغض خاصة إذا أدى إلى التفكير في الانفصال

ومن هذا الهدى قال عمر لمن أراد أن يطلق امرأته ، لأنه لا يحبها :

وهل لم تقم البيوت إلا على الحب .. ؟! فأين الرعاية والتذمم ؟!

وحدث في عهده أن طلق غيلان نساءه ، وقسم ماله بين بنيه دونهن ملجئاً لهن بذلك إلى التشرد والضياع ، فأمره بمراجعتهن ، وأن يرجع ماله كما كان ، له ولبنيه ، ولهن ، فهم جميعاً فيه سواء ورعايتهن حتى بعد وفاته مسئولية لا مهرب منها سيما بعد أن أبطل الإسلام عادة الجاهلية في حرمان المرأة من الميراث أو تفضيل بعض أفراد الأسرة الواحدة في ذلك على بعض ..

إن بين الرجل والمرأة غيرة ، وهذه الغيرة أكبر من كل شيء فلا تؤثر عليها الروح ، أو ميول النفس وأهواؤها .

لكل من الزوج والزوجة حقوق يجب أن تؤدى دون إبطاء أو تفريط

حق الزوج على زوجته:

حق الرجل على زوجته طاعته فيما يريد ويرغبه إلا فيما حرم الله تعالى، بل جعل ذلك شرطاً لدخول الجنة ، قال ﷺ :

" إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت "

فجعلت الطاعة سبباً من أربع أسباب لدخول المرأة الجنة بل كانت طاعتها لزوجها أفضل من الجهاد في سبيل الله .

- روى مسلم أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها أنها أتت النبي ﷺفقالت : إني رسول من ورائي جماعة من نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فأمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺبوجهه إلى الصحابة فقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً من دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : انصرفي يا أسماء ، واعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت. فانصرفت أسماء.
- ومن حقه أيضاً أن تكون سبيل عفته وطهارته عن طريق الجماع الذي شرعه الله تعالى .

يقول ﷺ :

" إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح " متفق عليه

وقال أيضاً :

" **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتجب وإن كانت على ظهر قتب** " رواه البزار

والقتب هو الرحل الذي يوضع على ظهر الجمل

وفي حديث آخر :

" **إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور** " رواه الترمذي

ثم يبين ﷺ كيف يسخط الله على من تمنعت على زوجها إذ يقول ﷺ :

" **والذي نفسي بيديه ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخط عليها حتى يرضى عنها** " أخرجه مسلم

وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام بل إن المرأة لا تكون قد أدت حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ..

قال ﷺ :

" **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها ، وهي على قتب لم تمنعه** "

رواه أحمد عن عبد الله بن أبي أوفي

وقال ﷺ :

" **حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه** "

رواه الحاكم عن أبي سعيد

وقال ﷺ :

" **اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤسهما ؛ عبد آبق من مولاه حتى يرجع ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع** " رواه الحاكم عن بن عمر

بل أنه لا يجوز لها أن تؤدي الصلاة في المسجد وقد أهملت البيت وتركت الزوج وانصرفت عن واجبها المنوط بها بحجة العبادة ومن حقه أيضاً أن تحفظ غيبته ، وتصون عرضه ، وتراعي غيرته .. فلا تدخل أحداً بيته بغير علمه وإذنه .

وأما حق الزوجة على زوجها :

كذلك الزوجة مسئولة من زوجها ولها حقوق يجب أن تؤدى إليها كالنفقة وما تقتضيه من طعام وشراب وكسوة ..

● عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : في خطبته في حجة الوداع :

" اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف "
رواه مسلم

● وعن معاوية بن حيدة ﷺ قال :

" قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال :

أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تقبح الوجه ولا تضرب "
رواه أبو داود وابن ماجة

وقوله أيضاً :

" كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " رواه مسلم وأبو داود

● ومن حقها كذلك أن لا يهملها ، ولا يتغيب عنها ، ولا ينصرف عنها من أداء حقوقها في المعاشرة الجنسية .. حتى ولو كان ما يشغله عنها عبادة الله تعالى.

وقد جعل الله تعالى من صحيح العبادة الإرواء الجنسي .. الذي يعف به الزوج زوجته .. وهو حق النفس التي تستقر به لتواصل طاعتها لله تعالى.. ثم لزوجها بنفس راضية .. أجل من حق الزوجة أن يعفها زوجها .. وأن تعفه .. فإن قصر الزوج في هذا الحق هروباً من الدنيا بحذافيرها.. فكيف تتصرف الزوجة والحالة هذه ؟ [1]

---

(١) ملامح البيت المسلم د/محمود عمارة .

- ولقد مر بنا كيف أسرع عمر رضي الله عنه وأصدر أمره أن لا يتغيب جندي عن زوجته أزيد من أربعة أشهر .. وذلك حينما سمع المرأة بالليل تشكو فراق زوجها .
- كل هذه الحقوق واجبة للزوجة ، لتشعر بسعادتها .. فتنعكس السعادة على بيتها وزوجها .. لقد رفض ﷺ .. أن يهمل المسلم زوجته ، أو يفرط في حق من حقوقها بحجة الزهد والعبادة .
- فعن أبي حذيفة ، عن أبيه قال :

" آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء مبتذلة - **أي لابسة ثياب المهنة تاركة ثياب الزينة** - فقال لها : ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا - **أي في النساء**-فجاء أبو الدرداء ، فصنع له طعاماً ، فقال : كل ، فقال سلمان : فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم . فقال له سلمان: نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان : قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان"

رواه البخاري

- وجاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه ، ومعه كعب رضي الله عنه فقالت :

يا أمير المؤمنين إن زوجي لم أر رجلاً أصلح منه ، نهاره كله صائم ، ولا يخطئ في شدة الحر ، ليله كله قائم .. قال عمر : مثلك من يثني على زوجه خيراً . جزاك الله خيراً .. ! فاستحت ورجعت ،
فقال كعب : يا أمير المؤمنين المرأة جاءت تشتكي ! فدعاها ..
فقال : هذا الرجل يقول : جئت تشتكين ؟
قالت : نعم ! إذا كان نهاره صائماً .. وليله قائماً .. وأنا امرأة شابة . أتطلب ما يتطلب النساء . فأرسل إلى زوجها ، فجاء .

فقال عمر لكعب : اقضي بينهما .. قال : لا .. أمير المؤمنين حاضر .. وأقضي؟!! قال : أنت فهمت شكواها . فأنت أولى بالقضاء فيها .

قال كعب لزوجها : ما الذي يمنعك أن تؤدي حق زوجتك ؟ فقال : والله خوفتني سور القرآن الكريم . أخاف من النار . وأرجو الجنة . قال كعب : أقضي بينكما لك ثلاث ليال من أربع ، ولها ليلة من أربع . وهو نصيبها لو تزوج أربعاً . فقال عمر : والله لا أدري أأعجب من فهمك للقضية .. أم من قضائك فيها .. قم فأنت قاضي أهل الكوفة ..

- وروى أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه زار عبد الله بن عمرو بن العاص وكانت امرأته تلطف رسول الله ﷺ فقال :

" كيف أنت يا أم عبد الله ؟ قالت : كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل قد تخلى عن الدنيا . قال لها : كيف ذلك ؟ قالت : حرم فلا ينام ، ولا يفطر ولا يطعم اللحم ، ولا يؤدي إلى أهله حقهم . قال : فأين هو ؟ قالت: خرج ويوشك أن يرجع الساعة . قال : فإذا رجع فاحبسيه علي .. فخرج رسول الله وجاء عبد الله ، وأوشك رسول الله في الرجعة . فقال: يا عبد الله بن عمرو .. ما هذا الذي بلغني عنك ، إنك لا تنام ؟ قال : أردت بذلك الأمن من الفزع الأكبر . وقال : بلغني أنك لا تؤدي إلى أهلك حقهن . قال: أردت بذلك نساء خيراً منهن .. فقال رسول الله ﷺ :

" يا عبد الله بن عمرو ، إن لك في رسول الله اسوة حسنة ،
ورسول الله يصوم ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدي إلى اهله حقوقهم .
يا عبد الله ، إن لله عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً ،
وإن لأهلك عليك حقاً "

(١) انظر مشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن .

حق القوامة.. لمن؟ ولم؟

يقول تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ النساء : ٣٤

والمراد بالقوامة هنا - **كما يقول صاحب المنار** - هو الرياسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختياره . وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهوراً - **مسلوب الإرادة** - لا يعمل عملاً الا ما يوجهه إليه رئيسه .

- فإن كون الشخص قيما على الآخر هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده عليه - **أي ملاحظته في أعماله وتربيته**[1] **ولم تكن هذه القوامة اعتباطاً** - ولكنها مردودة على سببين .

١) فطري　　　**٢) كسبي**

وذلك قوله تعالى :

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

لم يقل الآية الكريمة : بما فضل الله الذكر على الأنثى مثلاً ، إنما هما كيان واحد .. يفضل بعضه بعضاً فضلاً ناشئاً عن طبيعة التكوين .. فكما أنه لا يضير اليد إذا قيل إن الرأس أفضل منها كذلك لا يضير المرأة إذا قيل إن الرجل أفضل منها بما يملك من العقل والقدرة ، والحزم في اتخاذ القرار .

وهي قوامة المصلحة المزدوجة التي تعيش في ظل زوجها مكفولة الرزق والأمن معاً .[2]

- فالمنظور الإسلامي ينظر للرجل والمرأة على أنهما كيان واحد لا ينفصم عراه .. أي يكمل أحدهما الآخر . مع احتفاظ كل منهما بخصائصه التي اختصه الله بها .

---

(١) المنار محمد رشيد رضا .
(٢) نحو أسرة بلا مشكلات .. د/محمد عمارة

ومن الأخطاء الكبيرة التي أشيعت في هذا العصر أن تعتقد المرأة أنها تستطيع أن تخلف الرجل في أي عمل يستطيعه دون الالتفاف للقدرة والخاصية التي أنيط بها . وجعلت من سماته .

● خطأ كبير أن تقحم المرأة نفسها في حياة الرجل .. معتقدة أن لها ما للرجل من قدرات ومواهب تؤهلها للقيام بأي عمل جرى العرف . وأكدت الطبيعة أنه من خصائص الرجل .

إن للمرأة طبيعة تباين طبيعة الرجل ولها وجدان يخالف وجدان الرجل ومن ثم فالرجل له أعمال لا تستطيع المرأة أن تقوم بها ، أو أن تحقق مقصودها . صحيح أن الإسلام رفع من قدر المرأة . واحترم وجودها بعد أن كانت مخلوقاً مهيناً تزدريه كثير من الأديان والمذاهب . وينظر إليه أهل الجاهلية على أنه عار يجب محوه ، وستره من الوجود ..

قال تعالى :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ﴾ النساء ١٢٤

وقال تعالى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ التوبة ٧١

فهي تأمر وتنهى كالرجل تماماً

بل كانت أول صيحة من الداعي الأول ﷺ مؤذنة بالاحترام للمرأة إذ لما نزلت " وأنذر عشيرتك الأقربين " صعد الصفا ، وقال :

" يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ،

يا صفية عمة رسول الله . يا فاطمة بنت رسول الله

اشتريا نفسكما من الله فإنني لا أغني منكما شيئا "

وهذا التكريم ليس معناه أن تقوم المرأة مقام الرجل .. فإن للرجل خصائصه التي لا يجب ومحال أن تخوض المراة غمارها ، لأن طبيعتها ومفاهيمها يرفضان ذلك .

- وفي جنون المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في ميادين الأعمال، وقعت قصة تستحق "التسجيل، فقد رأى البعض تشغيل الفتيات محصلات في الحافلات العامة ! والباصات !! والقاهرة تغص بحشود من البشر يزحم بعضها بعضا فلا يكاد الرجل الجلد يجد طريقاً بينهما، فكيف بالفتيات ؟ وعاشت التجربة يوماً ولم تتكرر ..

- ونشرت منظمة الصحة العالمية ، شرق البحر المتوسط ، في تقريرها الأخير، قال : وفي جميع الأحوال لا يليق بالمرأة أن تعمل في المجالات التي لا تلائم طبيعتها . وأن تدخل في أي ضرب من ضروب الصناعة والحرف المضنية. فالمجالات التي تحسنها المرأة وتتناسب معها كثيرة ومتعددة . كميدان التعليم والطب والتمريض ، والرعاية الاجتماعية ، والكتابة والنشر . وبعض الوظائف غير المرهقة وتستطيع فوق كل ذلك أن تغشى الأسواق في حشمة ووقار فتبيع وتبتاع .

- أما أن تعمل المرأة كل أعمال الرجال ، كأن تكون شرطية وميكانيكية؟ وعاملة في المصانع ، ومنظفة في الشوارع ، وسائقة للعربات وأدوات النقل وما شابه ذلك . فلا يليق بها ولا يجوز لها أن تزاوله ، وقلما تساوي الرجال في هذا المجال .. ومن المفيد جداً أن نشير إلى الدراسة القيمة التي نشرتها مؤخراً جريدة الهير الدتريبيون الدولية ، في عددها رقم ٣٢٦٥٠ بتاريخ ١٥ شباط/ فبراير ١٩٨٨ ، فقد قامت الدكتور روز فريش أستاذة الصحة العامة بجامعة هارفارد ، بدراسة أجرتها على ٥٣٩٨ امرأة تتراوح أعمارهن ما بين : ٢١-٨٠ عاماً وتقدمت بنتائج هذا البحث إلى الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، وخلصت من دراستها إلى النتائج التالية :

تصاب اللاعبات الرياضيات النشيطات باضطراب في الدورة الطمثية، ويصبحن غير مخصبات ، طلما يقمن بالممارسة الرياضية . ويمكن أن تعود الخصوبة إلى وضعها الطبيعي بالتوقف عن الممارسة الرياضية، وأضافت الباحثة نصيحتها إلى النساء قائلة: لا يمكن للمرأة أن تعمل كل شيء .. بمقدور كل واحدة منكن أن تصبح نجمة رياضية أو لاعبة أولمبياد شهيرة.. ولكنها إذا رغبت في إنجاب طفل فإن عليها أن تتوقف عن اللعب ، ذلك لأن المستوى الأدنى من التمارين يمكن أن يكون له عواقب ضارة على الجهاز التناسلي في المرأة .

ولقد أقرت الدراسة أن ٢٦٢٢ امرأة ممن كن يمارسن الألعاب الرياضية قد بدت عليهن أعراض سرطان الثدي ، أو الداء السكري أو سرطان الجهاز التناسلي، في مقابل القسم الآخر من النساء وعدده ٢٧٧٦ اللواتي لم تظهر عليهن هذه الأعراض .

بينت دراسة جامعة هارفارد إضافة إلى دراسة أخرى أجرتها جامعة ألبرتا أن الأعمال النشيطة التي تمارسها المرأة تؤثر جداً في إنتاج الاسترجينات التي تتحكم في الإنجاب لدى المرأة .

أشارت هذه الدراسة مع أخرى مماثلة أجرتها جامعة كندية ، أن النساء اللواتي يمارسن الأعمال المجهدة يصبن باضطراب الاخصاب حتى لو استمر الطمث لديهن على وضعه النظامي .

أظن بعد هذه التجارب والاستقراءات
أن الأفضل للمرأة الوقوف عند حدودها الفطرية ،
واليأس من نشدان المساواة المطلقة مع الرجال
في هذا الكدح المضني .. وما يعقبه من آلام[1]

(١) قضايا المرأة للشيخ محمد الغزالي .

سأل رجل أحد الدعاة إلى الله فقال له:

أريد أن أربي ولدي فيم تنصحني؟

قال: كم عمره؟

قال: سنة..

قال: فاتك القطار..!!

قال: ولم؟!

قال: إن تربية الطفل تبدأ قبل أن تتزوج أمه..!

أي باختيار المرأة الصالحة.. التي تستطيع أن تربي ولدك على الفضيلة والخلق ومبادئ الإسلام..

أما إن كانت فاسدة الطبع والخصال، ليس لها حظ من الدين..

فكيف تقيم نشأ مستقيماً فاضلاً؟!

قال الشاعر:

وليس النبت ينبت في جنان — كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يرتجي لأطفال كمال — إذا ارتضعت ثدي الناقصات؟!

* إن للأم تأثير كبير، ودور عظيم في صياغة أبنائها وتشكيل عقولهم ومزاجهم، بل إنني لا أبالغ حينما أقول إن لها أثراً في مستقبلهم بما تزرع فيهم من طبائع ونوازع.

وبين يدي مثلاً لأم.. قد استطاعت بتوجيهها وإرشادها.. الذي ينبع من تدينها وخلقها، أن ترشد ولدها لمستقبله الذي ينتظره، ليصير عبقرياً من عباقرة الإسلام:

* يحكى أن الإمام مالك قد رأى لنفسه رأياً في مستهل حياته، لو أنه قام بتنفيذه لحرم العلم والدين شيخاً من شيوخه، وإماماً من أئمته، ذلك أنه قد راق له في باكر صباه أن يشتغل بالغناء، ولعله قد أنس في نفسه صوتاً رخيماً، وأداءً جذاباً، ولكن أمه كانت سيدة فاضلة سارعت إلى

تقبيح الفكرة ، موهمة إياه أنه قبيح المنظر ، والناس لا يقبحون سماع المغنى إذا لم يكن جميل المحيا ، وضئ القسمات ، ونصحته بالإقبال على الفقه. فأذعن لرأيها . وأقبل على الفقه والحديث ، ذلك الإقبال الذي جعل منه إماماً جليلاً من أئمة الإسلام ..

لقد قامت الأم الصالحة بدورها أكمل قيام ، وأرشدت ولدها لطريق الحق لتزيحه عن طريق الفسق .

لقد كانت نصيحتها مهدده بالسقوط لو أن ولدها قد شق طريقه للمرآة يتحسس رأي أمه فيه .. فما كان مالك قبيح الوجه رديئه ، وإنما كان جميل المحيا ، مكتمل البنية أبيض اللون إلى شقره .. ولكن صلاح الأم ورجاءها في صلاح ولدها .. كان له أعظم الأثر فيما بعد . لقد منحت الإسلام بنصيحتها الغالية ، إماماً عظيماً ، ومجتهداً فريداً ..

بل صنعت بإرشادها مذهباً بأكمله

يرشد الناس ويعلمهم أصول الإسلام

وياليت هذا الصلاح العظيم ، والذي كمن في نفس أم مالك ، يحل بأمهات العصر .. فما أحوج أبناءنا لأمهات صالحات ، يصنعن منهن أبطالا عظماء ، كما صنعت تلك الأم العظيمة ، من ولدها الصغير . ولنجهز بتأملنا على الموقف ليعتصر ما فيه من دروس جليلة ونقاط رشيدة فريدة :

أولاً لقد كانت الأم الصالحة . . وقد أورثها صلاحها عقلاً سديداً ، وتصرفاً رشيداً ، إنها قد حضت ولدها على طريق الحق الخير ، فلم تنظر للدنيا وزينتها ، وما يدور عليها وعلى ولدها من مال وشهرة .. فما أسهل أن ينحرف الفقراء وذوي الحاجة أمام زيف الشهوات بل وما أسهل أن يضل ذوي العقول الناضجة ، أمام شهوة المال الغالية ، ولكن عقلها الحصيف الرشيد أدرك حقيقة الدنيا ، وحقيقة الآخرة فكان لسانها ناطقاً استقر في عقلها ، وهو ما يبلغها وولدها لبر الأمان .

ثانياً إنها بإرشادها سارعت لتئد الفكر المعوجة في عقله ، بل لتمحيها من حياته كلها ، ولكنها لم تستخدم اللين حينما قلعت جذور تلك

الرغبة من أعماقه. فكانت طريقتها جافة مؤلمة ، قد تحزنه وتفجعه وتسبب له ضيقاً كبيراً أو حسرة . إنها قالت بملئ فيها : " **إن وجهك قبيح، والمغني لابد أن يكون جميل المحيا وضئ القسمات.. والناس لا يحبون المغني قبيح المنظر** " إن الجفاء الظاهر من الام، ليحمل من ورائه حباً له ورغبة في مصلحته، وما دعاها لذلك ، إلا خوفها عليه. وجلها أن يسير في طريق غير طريق الحق سبحانه.

ثالثاً قد يظن الآباء والأمهات أن الطعام والكسوة هما المسئولية الكبرى تجاه الابناء .. وهذا أعظم خطأ . وأفدح تصور ، فالتربية الصالحة، والسلوك الأخلاقي ، وما يجبل عليه الطفل من سمات الخير، وأعظم مسئولية ، منك نحو ولدك ، بل أفضل عطية تقدمها له في حياته ، لتجعل منه إنساناً صالحاً لمجتمعه وأمته وهذا تماماً ما أدركته الأم الصالحة ، وشعرت به تجاه ولدها، فعلى جناح السرعة، قدمت لولدها نصيحتها وتوجيهها ، لتحيد به عن هذا الطريق ، مستخدمة في هذا الحيد أقسى الطرق عليه وأجلدها ، واصمة إياه بالقبح في الخلقة : أما أمهات اليوم فمعظمهن يفرطن في مسئوليتهن ، بل لا يدركن شيئاً عن هذه المسئولية إلا الجانب المادي منها .

رابعاً إنها لم تقل له " هل هناك مغني قبيح المنظر " فقط لتفت من عزمه ورغبته نحو الغناء ، ولكنها قالت بجوار ذلك " إن الناس لا يحبون المغني قبيح المنظر " وهي بهذا تشدد عليه الأمر وتزيد من طريقه غير عابئ بقبحه أو جماله ، فالمهم صوته لا شكله .. ولكنها قذفته بكلماتها الحاسمة وهي (الناس) لتكون حجرة عثرة في تقدمه في الطريق للشيطان.

خامساً إذا كان حديثنا عن عظمة الأم في تقويم ولدها ، فليس من الإنصاف أن نهمل موقف الفتى الصغير دن الإشادة بتصرفه .. حيث تلقى حديث أمه ، بما فيه من مرارة وتجريح ، بكل أدب وسعة

صدر، وانصياع تام لنصحها ولم يجزع ولم يضجر ولم يتمادى في طريقه ضارباً بنصحها عرض الحائط..

لقد استجاب لطلبها وإرشادها، فترك الغناء، وطلب الفقه ليسير لقدره المنتظر. وهذه الاستجابة من الابن المطيع، وهذا الانصياع لأمر الأم ورغبتها، ما هو إلا ثمرة من ثمار التربية الحسنة، التي جنت ثمارها هذه الأم العظيمة.

ومن هنا خرج مالك ليكون عبقرياً وعظيماً من عظماء الإسلام، بفضل الأم الصالحة، وأخلاقها الراشدة وتربيتها السديدة

• وهذا أمير المؤمنين في الحديث - **سفيان الثوري** - من وجهه للعلم؟! إنها أمه الصالحة التي قالت له: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، تريد أن لا تحوجه إلى العمل ليترك العلم وطلبه: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف انظر هل ترى في نفسك زيادة، فإن لم ترفيه زيادة فاعلم أنه لا ينفعك.

• وهذا ابن عربي الصوفي واسم أمه نور، وهي امرأة صالحة كانت تحثه دائماً على ارتياد طريق الصلاح، واتباع سبيل الهدى. ولم تجزع حينما ترك ابنها الدنيا وسلك طريق الزهادة والتقوى. وحينما ألزم نفسه خدمة العارفة بالله **فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي** بأشبيلية كانت أمه تزوره عندها فتقول لها فاطمة: يا نور هذا ولدي وهو أبوك، فبريه ولا تعقيه. فلا تجد في نفسها غضاضة مما تسمع، وكانت تتلقاه بقبول حسن.

الحق أقوى من العاطفة:

• لقد مر بنا حديث ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وكيف كان صبرها على مشاق بيتها، وقلنا إن أسماء رضي الله عنها كانت أعظم مثال تقتدي به المرأة المسلمة، حيث تؤمن بوقوفها بجوار زوجها.. وتصبر على هموم الحياة، ومتطلبات الزوجية، ومثل أسماء رضي الله عنها في صبرها وثباتها وصلاحها، هي المرأة التي تستطيع أن تنجب

جيلاً من الأبطال .. وذرية من النوابغ .. ورجالاً يحملون راية دينهم ، وهموم أمتهم ..

• لقد كانت أماً لعبد الله بن الزبير . الذي تحدى دولة بأسرها ، ولم يبال بقوة أو بطش يوهن النفوس ، ويثني العزائم . لقد ربت ولدها على نصرة الحق ، حتى ولو كلفه ذلك حياته . انظر إليها وقد جاءها ولدها بعد أن تحرش الأعداء به من كل جانب ، وتخلى عنه الكثير من الأهل والولد .. لقد جاءها شاكياً مستشيراً ..

فقال : يا أماه ، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما قولك ؟

قالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت : كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت ، فبئس هذا من فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ، والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذل ، قال : إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي .

قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ، ... فدنا منها وقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ، ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أماه فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك ، وسلمي الأمر لله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولا عمل بفاحشة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به ، بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ، ولكن أقوله تعزية

لأمي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني ، وإن تقدمتك ففي نفسي جرح حتى أنظر إلام يصير أمرك . قال : يا أماه : جزاك الله خيراً ! فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد ، فقالت : لا أدعه أبداً ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت : اللهم ارحم ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة . وبره بأبيه وبي . اللهم قد سلمته لأمرك فيه . ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين ، ثم ودعها

وخرج ...

لم تكن أسماء غافلة عن قوة بني أمية وبطشهم . ولم تكن تريد أن تستبقي ولدها في الدنيا ليصبح الرجل الأول فيها . ولم تسيطر عليها عاطفة الأمومة ، لتمنع ولدها أن يمضي لما فيه حتفه ...

لقد ربته على العزة والإيمان . فهو حفيد أبي بكر صفي رسول الله وابن الزبير حواري النبي ... وابن عمته .

لك الله يا أسماء . تضحين بولدك في سبيل الحق . وتجعلين شعارك :

والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذل

...

ومن أين جاء عبد الله بقوله : ...

... "ما ركنت إلى الدنيا . ولا أحببت الحياة فيها ...

وما دعاني للخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة ...

لقد جاءته هذه المبادئ من

تربية أسماء ، ومن عزة أسماء .. ومن صلاح أسماء ...

فهل لأمهات المسلمين أن يعلمن أولادهن ، ويربيهن على نصرة الحق ... والغضب لله ، كما علمت أسماء ؟

إن ذلك لا يكون إلا ... صالح .

... ليخرج في المسلمين مثل عبد الله بن الزبير ...

وصية "أمامة بنت الحارث"

هذه الوصية تعد من أفضل الوصايا وأكملها في موضوعها، وهي تمثل تحفةً أثريةً فكريةً حيةً، تجب على الأجيال مدارستها، والتمعن بدقة، والتوغل في مراميها، وليس وقوفاً لفظياً عابراً لا يكشف عن عمق دلالاتها.

فالوصية خطوة تهدف إلى تنمية إنسان، بل جعلت تنميته ذات أولوية مطلقة، وفيها منفعة في الحض على طاعة الزوج، وحسن التبعل له، والقيام بخدمته، وإحسان معاشرته، وإيثار ما يهواه، لتقتدي بذلك من النساء من بلغها خبر هذه الوصية حتى تتأسى بها، فتقر أعين أزواجهن بهن.

والوصية مظهر من مظاهر العلاقة والحث على البذل في سبيلها من تضحية نفسية ومالية، فالأم لم تُرد العبودية لابنتها كما قد تتوهم بعضهن، أو كما شحنتهن المؤتمرات النسائية التي تُعقد هنا أو هناك فأفرغت المرأة من القيم، وعبّأتها بأقاويل جوفاء لا يهدف مروجوها إلا إلى إخراج فتاة ذات سفسطة متعالية بحقوقها وهي تهوي بها في منحدر التفكك والتيه.

نص الوصية:

لما حان أن تُحمل "أم إياس" إلى زوجها "الحارث بن عمرو" ملك كندة خلت بها أمها أُمامة بنت الحارث، وقالت توصيها:

أي بنية: إن الوصية لو تُركت لفضل أدب تُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلق الرجال.

أي بنية.. إنك فارقت الجو الذي منه خرجت،
وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه. وقرين لم تألفيه،
فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا. فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكا.
يا بنية.. احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً،
الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة،
والتعهد لموقع عينه. والتفقد لموضع أنفه..

فلا تقع عيناه منك على قبيح. ولا يشم منك إلا أطيب ريح،
والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود،
والتعهد لوقت طعامه. والهدوء عنه عند منامه..

فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة،
والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله..

فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير،
والإرعاء على العيال والحشم حسن التدبير.
ولا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً..

فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره،
وإن عصيت أمره أوغرت صدره.
ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً..

فإن الخصلة الأولى من التقصير. والثانية من التكدير.
وكوني أشد ما تكونين له إعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً،
وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة.

واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك،
وهواه على هواك . فيما احببت وكرهت . والله يخير لك .



صدر للمؤلف

١- قيمة الوقت في حياة المسلمين

كتيب يوضح أهمية وخطورة الوقت ، ويوضح مجالات إهداره وطرق الحفاظ عليه .. وأحوال السلف والتابعين في تنظيمهم لأوقاتهم .

٢- من وسائل التزكية للنفس العاصية

كتاب يشرح كيف يزكي نفسه ويهذبها ويأخذ بقلب القارئ بالترغيب والترهيب لتزكو نفسه وتزداد خوفا وحبًا لله عز وجل .

٣- الزواج السعيد .. بين حُسن الاختيار وعشرة الأخيار

كتاب يتحدث بإسهاب عن السعادة الزوجية وطرق الحصول عليها بدءًا من طرق الاختيار وصولاً لحسن العشرة بين الزوج وزوجته ، وكذلك يتعرض لمنغصات الحياة الزوجية وطرق الوقاية منها .

فهرس



هذا الكتاب

يناقش بهدوء وموضوعية قضية الزواج واستقرار البيت المسلم والوسائل التي يجب اتباعها من الزوجين حتى يكون زواجهما سعيداً ويكون بيتهما مشعلاً للهداية ونبراساً للحب والمودة .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

ليس الزواج علاقة اشتهاء بدني وحسب ، فهذا تصور هابط .. إن الازدواج أساس ارتباط روحي ، وامتزاج مشاعر وراحة أعصاب ...

ثم يضيف قائلاً :

فلابد من اختيار زوجة صالحة عند الاتجاه إلى بناء أسرة ، فإن الزواج ليس قضاء وطر ، وإراحة بدن ثائر ، الأمر أسمى من ذلك .

أيها الأحباب :

نجاح الزوجان في بناء عش الزوجية على أسس متينة وقواعد قوية من الحب والمودة والسكينة وكذلك من الاحترام المتبادل وتقدير الآخر هو الخطوة الاولى لبناء أسرة تستمر عشرات السنين ويكون من ثمرتها أبناء صالحين ينفعون آبائهم وأوطانهم ..

تعالوا بنا في هذه الصفحات
نتعلم سويا كيف تكون أسس البيت السعيد
بدا من حسن الاختيار مرورا بحسن العشرة
وصولا لحسن الخاتمة

**نسأل الله لنا ولكم بيوتاً مسلمة ترضي خالقها
وتسعد في الدنيا والآخرة**

الناشر

 برقم إيداع ٤١١٧ / ٢٠٠٦

ت: ٠١٠٦٦٩٢٦٢٥
E-mail : tiboadv@yahoo.com